مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

أَلفاظُ الأُبوَّةِ وَالبُنُوَّةِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ ودَوْرُ السِّياقِ في تَوْجيهِ دَلالاتِها

The Words of fatherhood and sonship in the Holy Quran and the role of context in the orientation of their connotations

د. محمد بن يحي
mohammed-benyahia@univ-eloued.dz
جامعة حمة لخضر –الوادي–

تاريخ الإرسال: 2019/12/21 تاريخ القبول: 2020/10/09

الملخـــص:

أصبحت اللغة العربية المعاصرة تستعمل بعض الألفاظ المتقاربة في دلالتها بالمعنى نفسِه، على الرّغم من أنها ليست كذلك. ومن تلك الألفاظ: الألفاظ الدالة على الأبوّة والبنوّة، فقد يستعملون لفظة "أب" ولفظة "والد" بالمعنى نفسه، وكذا "أُمّ" و"والدة"، و"ابن" و"ولد".

وهذا المقال يهدف إلى استقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها تلك الألفاظ؛ للوقوف على دلالاتها والفروق بينها.

وقد توصل البحث إلى إحصاء الألفاظ الدالة على الأبوة والبنوّة في القرآن الكريم، وحاول توجيه دلالاتها اعتمادا على السياقات التي وردت فيها، حيث حدّد دلالات لفظة "أب" والفرق بينها وبين لفظة "والد"، ودلالات لفظة "أم" والفرق بينها وبين لفظة "والدة"، ودلالات للفظة "ابن/ بنت" والفرق بينها وبين لفظة "وَلَد"، كما حدّد دلالات ألفاظ أخرى على علاقة وطيدة بها: "ذرّية"، و"حفيد"، و"سِبْط"، و"عَقِب".

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

الكلمات المفتاحية: الأبوة؛ البنوة، دلالة؛ السياق؛ القرآن الكريم.

Abstract:

The contemporary Arabic language became uses some similar words with the same meaning; despite they are not so. This includes the words that indicate the meanings of fatherhood and sonship relations.

This research, tries to explain those differences by extrapolation of their use in the contexts of the Holy Quran.

In the result, the research reached a counting the words that indicate fatherhood and sonship relations, and tried to orienting their connotations depending on the contexts in which they appeared.

Keywords: Fatherhood; Sonship; Connotation; Context; The Holy Quran.

1. المقدّمـــة:

تتقارب كثيرٌ من الألفاظ العربية في دلالتها، ومنها الألفاظ الدالة على الأبوّة والبنوّة: كالأب والوالد، والأم والوالدة، والابن والولد؛ مما جعل كثيرا من مستعملي اللغة العربية المعاصرين يخلطون بينها، فيستعملونها بمعنى واحد، بَيْدَ أن هناك فروقا بينها.

والسؤال الذي يطرح ههنا: إذا كانت هناك فروق بين دلالات تلك الألفاظ؟ فما هي تلك الفروق التي يمكن استخلاصها من تتبع السياقات القرآنية التي وردت فيها؟

ما دام الاستعمال القرآني قد ميّز بينها في السياقات المختلفة، فلا شك في أن هناك فروقا دلالية بينها. وهذا البحث يسعى إلى رصد تلك الألفاظ الدالة على الأبوّة والبنوّة من خلال استقرائها في القرآن الكريم؛ بهدف الوصول إلى تحديد دلالاتها كما استعملها النص القرآني، مستعينا بما ورد في والمعاجم العربية، وكتب التفسير؛ محاولا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

استثمار دور السياق بنوعيه: السياق اللغوي، والسياق المقامي (سياق الحال) في توجيه دلالات تلك الألفاظ.

وقد التأم هذا البحث من مقدّمة، وجزأين أساسين: يتناول الأول "السياق ودوره في توجيه دلالة الألفاظ"، حيث يتطرق إلى مفهوم السياق لغة واصطلاحا، ثم يعرض مفهوم السياق في التراث العربي عند علماء العربية بمختلف اتجاهاتهم (النحاة، والأصوليين، والمفسرين، والبلاغيين)، ثم مفهومه في الدراسات اللسانية الحديثة: الغربية والعربية. كما يُبيّن أهمية المنهج السياقي ودوره في توجيه الدّلالة.

أما الثاني، فيعالج "دلالات ألفاظ الأبوة والبنوّة في القرآن الكريم"، مبرزا دور السياق في توجيه تلك الدلالات.

وخُتِمَ البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائجه، وذُيّل بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة في إنجازه.

للسّياق دورٌ مهمٌّ في توجيه دلالة الألفاظ؛ ذلك أن الألفاظ كما يقول "عبد القاهر الجرجاني" (ت: 471 هـ): «لم توضَع لتُعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض، فيُعرف فيما بينها فوائد»[1]. ويؤكّد السياقيون الغربيون على أن الكلمة ليس لها معنى إلا داخل السياق. يقول "ج. فندريس" مُبرزا أهمية السياق في تحديد دلالة الكلمة: «الذي يعيِّن قيمة الكلمة في كلّ الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق؛ إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تُستعمَلُ فيها في جوٍّ يحدد معناها تحديدا مؤقتا. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص539.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

تدلّ عليها»[1]. ويقول "جون ليونز": أعطني السياق الذي وُضعت فيه الكلمة، وسوف أخبرك بمعناها[2].

وقبل التطرّق إلى دور السياق في توجيه دلالة الألفاظ، وعرض مدى اهتمام العلماء بأهميته في تحديد المعاني، يجدر بنا أن نتطرّق بإيجاز إلى مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح.

2. السياق: مفهومه، ودوره في توجيه دلالة الألفاظ:

2. 1. مفهوم السياق لغة واصطلاحا:

– **السِّياق لغة:** من الجذر اللغوي (س و ق)، وأصل الكلمة: سِواق، وقُلبت الواو ياءً لانكسار السين قبلها. قال ابن فارس (ت: 395 هـ): «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشّيء. يُقال: ساقَه يسوقه سَوْقا»[3]. أي: حَثّه على السير من

[1]– فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950، ص231.

[2]– محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، النحو والدلالة، (مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي)، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000، هامش1، ص56.

[3]– ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (سوق)، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1979، ج3، ص117.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

الخَلْف في ظاهر أو معنى[1]. وقال الأزهري (ت: 370 هـ): «تَساوَقت الإبلُ تساوُقا، إذا تتابعت وكذلك تَقاوَدت، فهي مُتقاودة ومُتتابعة»[2].

ومما ورد في المعاجم العربية يتبيّن لنا أن كلمة "السّياق" في اللغة تشير إلى معنى التتابع والتَّقاوُد.

– **السِّياق اصطلاحا**: ربط تمام حسّان بين الدلالة اللغوية لكلمة "السّياق" التي تدل على التتابع والتّساوق، ودلالتها الاصطلاحية، حيث يقول: «المقصود بالسياق (التوالي)، ومن ثَمَّ يُنظر إليه من ناحيتين، أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسَّبْك، والسياق من هذه الزاوية يُسمّى (سياق النص). والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يُسمّى السياق (سياق الموقف)»[3].

ولمصطلح السياق في النظرية السياقية عند اللسانيين الغربيين مفهوم واسع، يشمل علاقة العناصر اللغوية في النص بعضها ببعض، كما يشمل أيضا العوامل والظروف الخارجية المحيطة التي لها تأثير في العمليّة الكلامية. يقول "ستيفن أولمان S.Ullmann" في تعريف السياق بأنه: «النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه

[1]– حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر العلامة المصطفوي، طهران، إيران، ط1، ج5، ص330.

[2]– الأزهري، تهذيب اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، مادة (ساق)، ج9، ص234. وابن منظور، لسان العرب، تحق: نخبة من الأساتذة، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د ت)، مادة (سوق)، مج3، ص2153 – 2154.

[3]– تمام حسان، قرينة السياق، بحث قُدِّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) مطبعة عبير للكتاب، القاهرة، (د ط)، 1413 هـ/ 1993، ص375.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل –لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب– بل والقطعة كلها ، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل – بوجه من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات. والعناصرُ غيرُ اللغويةِ المتعلقةُ بالمقام الذي تُنطَق فيه الكلمةُ لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن»[1]. فمفهوم السياق في النظرية السياقية يبدأ بالعناصر اللغوية وعلاقاتها بعضها ببعض، ويتوسّع ليشمل الجانب الثقافي، حيث إنه «لا يمكننا مطلقا الحديث عن معنى الوحدة اللغوية إلا بالاقتران بسياق معيّن، على أن السياق كما يقترح (Ammer) أقسام: يبدأ سياقا لغويا، وهو وإن كان ضروريا، غير كاف، وينتهي سياقا ثقافيا، وبينهما يقف السياقان العاطفي والمقامي، بما يعكس آلية التوسع»[2].

وبعد أن بيّنا باقتضاب مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح، سنعرض بإيجاز نظرة العلماء إلى السياق، ونُبيّن بعض ممارساتهم السياقية في التراث العربي والدراسات اللسانية الحديثة: الغربية والعربية.

2.2.السياق في التراث العربي: ظهر اهتمام علماء العربية –بمختلف اهتماماهم العلمية–بالسياق ودوره في توجيه معاني الألفاظ في وقت مبكّر؛ إذ استأنس به النحاة في تقعيد القواعد، والأصوليون في استنباط الأحكام الشّرعيّة، والبلاغيون في تأصيل قواعد الكلام وشروط إنتاج الخطاب، والمفسرون في الكشف عن معاني القرآن الكريم، وتأويل مُشْكِلِه.

[1]– ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، (د ط)، 1986، ص57.

[2]– نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2007، ص159.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

2.2.1.السياق عند النحاة: لم يكن مفهوم السياق غائبا عن أذهان النحاة، وهم يؤصّلون قواعد اللغة العربية؛ إذ استندوا على قاعدة ذهبيّة في صناعتهم حينما قالوا بأن "الإعراب فرع المعنى"[1]. لقد كان انطلاقهم من اللغة المستعملة فعلا، أي الكلام الـــمُـــنجَز. بَيْدَ أنهم لم يقتصروا على النظر في بنية النص اللغوية، كما لو كان النص شكلا منعزلا عن العوامل الخارجية المحيطة به؛ لذلك نجدهم يتطرّقون إلى قصد المتكلم، وحال المخاطَب، ومقام الخطاب...

فقد اعتمد أبو الدّرس اللغوي العربي **الخليل بن أحمد** (ت: 175) في تحليله التراكيب اللغوية على"**السياق اللغوي**"، غير أنه أولى "**إرادة المتكلم**" عناية كبيرة، ومن ذلك توجيهه دلالة المنصوب على المدح في نحو: "الحمدُ لله **أَهْلَ** الحَمْد"، حيث نسب إليه سيبويه في "باب ما ينتصب على التعظيم والمدح" قوله: «أنّ نَصْبَ هذا على أنّك لم تُردْ أن تحدِّث الناسَ، ولا مَنْ تُخاطب بأمرٍ جَهلوه، ولكنّهم قد علموا مِنْ ذلك ما قد عَلمتَ، فجعلتَه ثناءً وتعظيما»[2].

و لم يغفل الخليل في تحليله اللغوي **العلاقة بين المتكلم والمخاطب**، ومن أمثلة ذلك تبيانه أنّ "قَدْ فَعَل" تكون جوابا لمن قال: "لـــمّا يَفْعلْ"؛ ذلك «أن هذا الكلام لقومٍ ينتظرون الخبر»[3]. فلمّا كان المخاطب في حاجة إلى تأكيد الجواب، كان على المخاطِب أن يراعي حال المخاطَب؛ فيستخدم "قد" التي تفيد تأكيد الفعل في الماضي.

[1]– ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2006، ص210.

[2]– سيبويه الكتاب، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج2، ص65.

[3]– نفسه، ج4، ص223

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وقد أولى **سيبويه** (ت: 180 هـ) كُلًّا من **"السياق اللغوي" و"سياق الحال"** اهتماما كبيرا، ويتضح ذلك من استعانته **"بالسياق اللغوي"** كثيرا في بيان العناصر المحذوفة في التركيب. ومن ذلك ما ورد في تحليله قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة/ 135]، قال: «أي: بَل نتَّبع ملّةَ إبراهيمَ حنيفًا، كأنّه قيل لهم: اتّبعوا، حينَ قيل لهم: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾»[1].

إنّ ترتيب العناصر اللغوية داخل التركيب، وما يطرأ عليه من تقديم أحد العنصرين على الآخر لا يسوّغه فقط السياق اللغوي، إنما يرجع ذلك أحيانا إلى **"سياق الحال"**، والعوامل الخارجية التي تحيط بالحدث اللغوي، فالمتكلم قد يُريد العناية والاهتمام بما حقّه التأخير، فيقدّمه، ومن ذلك تقديم المفعول به على الفاعل.

وقد تنبّه سيبويه إلى أثر تلك المتغيرات الخارجية في ترتيب عناصر الجملة، حيث يقول في تقديم المفعول به على الفاعل: «كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بَيانُه أَهَمُّ لَهُمْ، وَهُمْ بِبَيانه أَعْنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانِهم»[2].

كما اهتم أيضا **بعناصر السياق غير اللغوي، أو "الحال"**. وقد سمّى هذا الضرب من السياق **"ما يرى من الحال"** أو **"ما فيه من الحال"**. وهو يقصد بذلك "سياق الحال" الذي يُغني عن اللفظ. ومن ذلك قولهم: «"بَيْعَ المــَلَطَى[3] لا عهدَ ولا عقدَ"، وذلك إنْ كنتَ في حالِ مُساوَمَةٍ وحالِ بَيْعٍ، فتَدَعُ أُبايِعُك؛ **استغناءً لما فيه من الحال**»[4].

[1]– نفسه، ج1، ص257.
[2]– سيبويه الكتاب، ج1، ص34.
[3]–البيع بغير رجوع.
[4]– سيبويه الكتاب، ج1، ص272.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

ويؤكّد **ابن جنّي** (ت: 392 هـ) على أهمية **"مشاهدة الحال"** في فهم المعنى، وإدراك قصد المتكلّم. فالنّاسُ يَسْتوضحون من مُشاهدة الأحوال، ولا يكتفون بسماع الكلام، بل إنهم ليطلبون ممّن يحدّثونه أن يُقبِل عليهم بوجهه. قال: «أَوَلا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمرٌ فأراد أن يُخاطب به صاحبه ويُنْعِمَ تصويرَه له في نفسه استَعْطفه ليُقبلَ عليه؛ فيقول له يا فلانُ أيْنَ أنت؟ أَرِني وجهَك أقبلْ علي أُحدّثْكَ... أمَا أنت حاضرٌ يا هَناه؟ فإذا أقبلَ عليه، وأصغى إليه، اندفع يُحدُثه أو يأمره أو ينهاه. أو نحو ذلك. فلو كان استماع الأذن مغنيًا عن مقابلة العين مجزئًا عنه لما تكلَّفَ القائلُ ولا كلّف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه»[1].

فالاستماع إذن ليس يُغني عن المقابلة: «وعلى ذلك قالوا: "رُبَّ إِشارَةٍ أَبْلَغُ من عِبارَةٍ "... وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله: أنا لا أحسن أن أُكلّم إنسانًا في الظُّلْمَة»[2].

وقد تتضمّن النصوص المنقولة إشاراتٍ لغويّة تُساعد المـُتلقي على استحضار الحال، ومن ذلك قول الشاعر:

«تَقولُ، وَصَكَّتْ وَجْهَها بِيَمينِها، *** أَبَعْلِيَ هَذا بِالرَّحى الـمُتَقاعِسُ؟

فلو قال حاكيًا عنها: أَبَعْلي هَذا بِالرَّحى الـمُتَقاعِسُ-من غير أن يذكر صَكَّ الوَجْهِ-لأعلَمنا بذلك أنها كانت مُتَعجِّبة مُنْكِرة، لكنّه لما حكى الحال فقال: "وصَكَّتْ وَجْهَهَا" عُلِمَ بذلك قُوَّةُ إنكارها وتَعاظُم الصّورة لَها. هذا مع أنك سامعٌ لحكاية الحال، غَيْرُ مُشاهدٍ لها، ولَوْ شاهدتها لَكُنْتَ بها أَعْرَف، ولعِظَم الحال في نفس تلك المرأة أَبَيَنُ، وقد قيل: **"ليسَ الـمُخْبَرُ كالـمُعاين"** ولو لم يَنقُلْ إلينا هذا الشاعرُ حالَ هذه المرأة

[1]– ابن جني، الخصائص، تحق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983. ج1، ص246 – 247.

[2]– نفسه، ج1، ص247.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

بقوله: وَصكَّتْ وجْهها، لمْ نعرف به حقيقةَ تَعاظُم الأمر لها. وليست كلُّ حكاية تُروى لنا ولا كُلُّ خَبَرٍ يُنقَلُ إلينا يُشفع به شرحُ الأحوالِ التّابعةِ له، المقترنةِ –كانت– به. نعم ولو نُقِلَتْ إلينا لم نُفِدْ بسماعها ما كُنّا نُفيدُه لَوْ حَضَرْناها»[1].

وعلى الرّغم من أنّ متلقي الرسالة اللغوية لم يشْهد الحدث اللغوي، وعلى الرّغم مما تضمّنه النّص من إشارات لغوية تُعينه على تمثُّل الحال، إلا أنه لن يكون باستطاعته تمثّلها كمَن شهِدَها.

ولعلّ في ما بيّنّاه من عناية الخليل وسيبويه وابن جني بضربي السياق: السياق اللغوي، وسياق الحال كفايةً للتأكيد على أنّ نحاتنا الأوائل لم يغب عنهم مفهوم السياق، وإن لم يصوغوه في نظريّة متكاملة.

2.2.2. السياق عند الأصوليين: يعود اهتمام علماء الأصول بالسياق إلى سعيهم لفهم النصوص الشّرعية؛ من أجل استنباط الأحكام. فقد عقد **الإمام الشافعي** (ت: 204 هـ) في كتابه "الرسالة" بابا سمّاه "باب: **الصّنف الذي يُبَيِّنُ سياقُه مَعناه**"، حيث ركّز فيه على دور القرينة التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي للفظ، في نحو قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ، إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ، إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.[الأعراف:163]. قال: «فابتدأَ جَلَّ ثناؤه ذِكْرَ الأمرِ بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: ((إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ)). الآية–: دَلَّ على أنه إنَّما أراد أهلَ القرية؛ لأن القرية لا تكونُ عاديةً ولا فاسقةً بالعدوان في السّبت ولا غيره، وأنه إنما أراد

[1]– نفسه، ج1، ص245 – 246.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

بالعدوان أهلَ القرية الذين بَلاهُم بما كانوا يَفْسُقون»[1]. فقد وضح الشافعي أن لفظ "القرية" في الآية الكريمة لا يمكن أن يُفهم منه معنى المكان؛ مستندا في ذلك إلى القرينة العقلية التي تمنع ذلك المعنى، فالقرية لا تعْدو ولا تفسُق، وإنما أهلها هم الذين يعدون ويفسقون؛ فدلّ ذلك على أن لفظ "القرية" استُعمل مجازا، وهو مجاز مُرسلٌ علاقته المكانية؛ إذ ذكر المكان وأراد من بالمكان.

كما تطرّق إلى دور السياق في تحديد دلالات الألفاظ، ومن ذلك قوله:«فإنما خاطب الله بكتابه العربَ بلسانها، على ما تَعرِفُ من معانيها، وكان ممّا تَعرِف من معانيها اتّساعُ لسانها. وأن فِطْرته أن يُخاطِب بالشّيء منه عاما ظاهرا يُراد به العام الظاهرُ، ويُسْتغنى بأول هذا منه عن آخره. وعامّا ظاهرا يُراد به العام ويدخله الخاص، فَيُسْتَدلّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه. وعاما ظاهرا يراد به الخاص. **وظاهرا يُعْرف في سياقه أنه يُراد به غيرُ ظاهره.** فكلُّ هذا موجودٌ عِلْمُه في أول الكلام أو وسطه أو آخره»[2].

لقد بيّن الشافعي دور السياق في تحديد دلالات الألفاظ، معتمدا على ما يُعرَفُ عند النّحاة بفطنة المــُخاطَب؛ فالعرب تعرف أن في لسانها من الألفاظ ما لا يدلُّ على ظاهره، وإنما يُعرف معناه من السياق الذي استُعمل فيه، ومن ذلك: المــُشترك اللفظي، والمجاز اللغوي، والجاز العقلي...

وقد ركّز **ابن تيمية** (728هـــ) على أهمية ودور القرائن اللفظية والحالية في تعيين معنى اللفظ، حيث يقول: «لَمَّا رَأَوا بَعْضَ النُّصُوصِ تَدُلُّ عَلَى الصِّفَةِ، جَعَلُوا كُلَّ آيَةٍ

[1]– الشافعي الرسالة، تحق: أحمد محمد شاكر، مكتبه الحلبي، القاهرة، ط1، 1358هـــ/1940م، ص62 – 63.

[2]– نفسه، ص51 – 52.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

فِيهَا مَا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُ يُضَافُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى – إِضَافَةَ صِفَةٍ – مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾. وَهَذَا يَقَعُ فيهِ طَوَائِفُ مِنْ الـمُـثْبِتَةِ والنُّفَاةِ. وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الغَلَطِ **فَإِنَّ الدَّلَالَةَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِ سِيَاقِهِ. وَمَا يُحَفُّ بِهِ مِن القَرَائِنِ اللَّفْظِيَّةِ وَالحَالِيَّةِ**»[1].

كما اهتم **ابن قيّم الجوزية** (ت: 751هـ) بقرينة السياق اهتماما بالغا؛ إذ عدّها من أعظم القرائن التي تُعين على تلمُّسِ مُراد المـُتَكّلّم؛ إذ تُوجّه إلى تحديد الدلالات، فهي المرشد إلى تبيان المـُجمَل، وتعيين المـُحتَمَل، وغير ذلك من الدلالات التي يريدها المتكلّم. يقول: «**السِّياق يرشد** إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدلالة. وهو **من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم**، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته. فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أنت العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾ [الدخان/ 49]،كيف تجد سياقَه يدل على أنه الذّليلُ الحقير»[2].

وقد يلجأ ابن القيم في تحديد الدلالة إلى مجموعة من القرائن، أو ما يسميه المحدثون بـــ "تضافر القرائن"، ومن ذلك تعيينه مَرْجِعَ الضمير في قَوْله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: 8]، حيث اعتمد على دلالة السياق، والقرينة اللفظية، وكذلك السّمة التعبيرية للقرآن الكريم، على اعتبار أن القرآن الكريم يُفسّر بعضُه بعضا، أو هو كالكلمة الواحدة. قال: «الصَّحِيحُ أَنَّ الضَّمِيرَ يَرْجِعُ عَلَى الإِنْسَانِ، أَيْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى رَدِّهِ

[1]– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1425 هـ/ 2004م، ج6، ص14.

[2]– ابن القيم، بدائع الفوائد، تحق: علي محمد العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت)، ج4، ص1314.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

إِلَيْهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَمَنْ قَالَ: "إِنَّ الضَّمِيرَ يَرْجِعُ عَلَى المـــاءِ أَيْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى رَجْعِهِ فِي الإِحْلِيلِ أو فِي الصَّدْرِ أَو حَبْسِهِ عَن الخُرُوجِ لَقَادِرٌ" فَقَدْ أَبْعَدَ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ، **وَلَكِنَّ السِّيَاقَ يَأْبَاهُ، وَطَرِيقَةُ القُرْآن** – وَهِيَ الاسْتِدْلال بالـــمَبْدَأ وَالنَّشْأَةِ الأُولَى عَلَى الـــمَعَادِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ – وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَيَّدَهُ بالظَّرْفِ، وَهُوَ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: 9] وَالمـــقْصُودُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ دَعَا الإِنْسَانَ أَنْ يَنْظُرَ فِي مَبْدأ خَلْقِهِ وَرِزْقِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّهُ دَلَالَةً ظَاهِرَةً عَلَى مَعَادِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَى رَبِّهِ»[1].

2.2.3.السياق عند البلاغيين: ليس من باب الادّعاء أن نقول بأن علماء البلاغة قد كانوا على وعي تام بتأثير العناصر السياقية في معنى التركيب ودلالته، وإن لم يصوغوا آراءهم في إطار نظرية متكاملة المعالم.

وتتجلى فكرة السياق عند البلاغيين في فكرتين أساسيتين: الأولى: فكرة **"المقام"** وما يجب له من "مقال". والثانية: **"مراعاة مقتضى الحال"**. قال الجاحظ (ت: 255هـــ): «والمعنى ليس يَشْرُفُ بأن يكون من معاني الخاصّة، وكذلك ليس يتَّضِع بأن يكونَ من معاني العامة، وإنما مَدارُ الشّرَف على الصواب وإِحْرازِ المنفعة، مع **مُوافقةِ الحالِ، وما يَجبُ لِكلِّ مقامٍ من المقال**»[2].

وقد انصب اهتمام البلاغيين في دراستهم للسياق على فكرة **"مقتضى الحال"**، والعلاقة بين **"المقال" و"المقام"**.

[1]– ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـــ / 1991م، ج1، ص113.

[2]– الجاحظ، البيان والتبيين، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص129.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

يقول التهانوي: «والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص، أي الداعي إلى أن يُعتبَر مع الكلام الذي يُؤدّى به أصلُ المعنى خصوصية ما هي المسماة **بمقتضى الحال**، مَثَلًا كون المخاطَب مُنكِرا للحكم حال يقتضى تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها...وعلى هذا النحو قولهم: عِلْمٌ[1] يُعرَف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظُ مقتضى الحال، أي يطابِق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك مُعَلَّلَةً بالأحوال»[2].

وهذا التعريف لمقتضى الحال في علم المعاني يقتضي أن يكون المتكلم على عِلْم بأحوال السامع قبل أن يتكلم؛ حتى يأتي بالكلام على صفة مخصوصة تتطابق مع حال المستمع.

ولـــمّا نص علماء البلاغة على أن **لكلّ مقام مقالا**، فمعنى ذلك أن "المقال" الذي هو المنجز اللغوي، لا بدّ أن يختلف من مقام إلى آخر، بل من خطاب شخص إلى آخر بالنظر إلى حاله التي هو عليها. يقول **السكاكي** (ت:626 هـــ): «لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التّشَكّر يُباين مقامَ الشّكاية، ومقام التهنئة يُباين مقام التعزية....وكذا مقام الكلام مع الذّكيّ يُغاير مقام الكلام مع الغبيّ، ولكلٍّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر»[3]. ويتجاوز مفهوم "المقام" عند السكّاكي غرضَ الكلام وموضوعه، وشخصيةَ المخاطَب إلى الصياغة اللغوية، من حُسْن التلاؤم بين الألفاظ، واختيار التركيب المناسب لمقتضى الحال، من تأكيد وذكر وحذف، وغيرها. يقول: «ثم

[1]– يقصد علم المعاني.

[2]– التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996، ج1، ص616 – 617.

[3]– السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص168.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

إذا شرَعتَ في الكلام، **فلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام**، ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام...وهو الذي نسميه **مقتضى الحال**»[1].

وإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنه يمثل "السياق اللغوي"، فإننا نجد أن الشيخ عبد **القاهر الجرجاني** (ت:471) يربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه، حين يقول: «وجملة الأمر أنّا لا نوجب "الفصاحة" للفظة مقطوعةً مرفوعةً من الكلام الذي هي فيه، ولكنّا نوجبها لها موصولةً بغيرها، ومعلَّقا معناها بمعنى ما يليها. فإذا قلنا في لفظة "اشْتَعَل" من قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم/4] إنها في أعلى المرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها "الرأس" معرفا بالألف واللام، ومقرونا إليها "الشيبُ" منكَّرًا منصوبا»[2].

وقد كان الجرجاني على وعي تام بمفهوم السياق وخطورته في فهم دلالات القرآن الكريم، ويتجلّى ذلك في مزاوجته بين علم النحو وعلم المعاني، فيما بات يُعرفُ بـــ"معاني النحو" من خلال صياغته نظرية النظم التي قامت على مفهوم السياق اللغوي، أي: تَعالُق الألفاظ والتئامها على نسق معيّن، فاللفظ عنده لا يكتسب دلالته وقيمته إلا من السياق الذي يرد فيه.والنظم في نظر الجرجاني «إنّما هو توخّي معاني النحو وأَحكامه وفروقه ووُجوهه، والعملُ بقوانينه وأصولِه، وليْست معاني النّحو معاني ألفاظ، فيُتصَوَّرُ أن يكون لها تفسير»[3].

[1]– نفسه، ص168 – 169.

[2]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص402 – 403.

[3]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص452.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

فالنفاذ إلى معاني النص لا يتأتّى بمعرفة دلالات الألفاظ منفصلةً عن سياقها الذي ترد فيه: «إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتُعرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضمّ بعضها إلى بعض، فيُعرف فيما بينها فوائد»[1].

إن هذا الوعي لدى البلاغيين بخطورة السياق في فهم معاني النصوص، وإن لم يصوغوا آراءهم في إطار نظرية متكاملة المعالم، هو ما جعل المحدثين ممّن كان لهم باعٌ في الاطّلاع على الدّراسات اللغوية الغربيّة يُقرّون لهم بالسَّبق في هذا المجال. قال تمام حسّان: «وحين قال البلاغيون "لكل مقام مقال"، "ولكل كلمة مع صاحبتها مقام"، وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات، لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على السواء، ولم يكن "مالينوفسكي" وهو يصوغ مصطلحه الشهير (سياق الحال Context of Situation) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها»[2].

2.2.4.السياق عند المفسّرين: كان علماء التفسير على وعي تامّ بخطورة السّياق في الوصول إلى دلالات القرآن الكريم. فقد أشار **الطبري** (ت: 310 هـــ) إلى وجوب مراعاة سياق الكلام في التفسير وعدم صرفه عنه إلا بدليل واضح، حيث يقول: «فغيرُ جائز صَرْفُ الكلام عمّا هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجّة»[3].

[1]– نفسه، ص539.

[2]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص372.

[3]– الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحق: محمد محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420 هـــ/ 2000 م، ج9، ص389.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وقال **الزركشي** (ت: 794 هـ) في معرض حديثه عن معرفة غريب القرآن: «وهو معرفة المدلول، وقد صَنَّفَ فيه جماعةٌ...ومن أحسنها كِتَابُ "الـمُفْرَدَاتِ" لِلرَّاغِبِ. وَهُوَ **يَتَصَيَّدُ الـمَعَانِيَ مِنَ السِّيَاقِ**؛ لِأَنَّ مَدْلُولَاتِ الأَلْفَاظِ خاصة»[1].

وقد بيّن بأن الاحتكام إلى السياق ممّا يُعين على فهم المعنى عند الإشكال، وعدّه من أهم القرائن الدالة على مُراد المتكلم، حيث يقول: «...**دَلَالَةُ السِّيَاقِ** فَإِنَّهَا تُرْشِدُ إِلَى تَبْيِينِ الـمُجْمَلِ وَالقَطْعِ بِعَدَمِ احْتِمَالِ غَيْرِ المُرَادِ، وَتَخْصِيصِ العَامِّ، وَتَقْيِيدِ المُطْلَقِ، وَتَنَوُّعِ الدَّلَالَةِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ القَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى مُرَادِ الـمُتَكَلِّمِ، فَمَنْ أَهْمَلَهُ غَلِطَ فِي نَظِيرِهِ وَغَالَطَ فِي مُنَاظَرَاتِهِ وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العزيز الكريم﴾ [الدخان/49] كَيْفَ تَجِدُ سِيَاقَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الذَّلِيلُ الحَقِيرُ!»[2].

وعلى الرّغم من أنه «كان للسياق أصوله العلمية في بعض كتابات علمائنا القدامى الذين استخدموه في فهم دلالات اللفظ في النص القرآني، لكن مؤلفات التفسير لم تستفد منها بشكل كاف في الكثير منها»[3]. وقد أشار الزركشي إلى ذلك في معرض حديثه عن "مَعْرِفَةُ الـمُنَاسَبَاتِ بَيْنَ الآيَاتِ"، حيث يتجلّى عنده **مفهوم "سياق النص"** بوضوح؛ إذ ينبغي النظر في ارتباط آيات القرآن الكريم بعضها ببعض، واتّساق معانيها، وانتظام مبانيها كأنها كلمة واحدة. وذلك التّناسب لا يقف عند علاقة الآية بأخواتها

[1]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص204.

[2]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص445.

[3]– عادل رشاد غنيم، المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1434/4/6هـ/ 2013/02/16م، ص7.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

السابقة أو اللاحقة في السورة نفسها، في إطار ما يُعرف بسياق النص، بل إنه يتجاوزه إلى النظر إلى القرآن الكريم كلِّه على أنه كلمةٌ واحدة[1].

وقد عدّ الزركشي المنهج السياقي أحد مناهج تفسير القرآن، وهي عنده نوعان: الأول: يعتمد على النّقل، والثاني: يعتمد على السّياق فيما لم يرد فيه نقل[2].

ونظر المفسّرون إلى القرآن الكريم على أنه يُفسّر بعضه بعضا، فما استشكل من المعاني في موضع، اتّضح في موضع آخر. يقول **السيوطي** (ت: 911 هـ): «مَنْ أَرَادَ تَفْسِيرَ الكِتَابِ العَزِيزِ، طَلَبَهُ أَوَّلًا مِنَ القُرْآنِ، فَمَا أُجْمِلَ مِنْهُ فِي مَكَانٍ فَقَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمَا اخْتُصِرَ فِي مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ»[3]. وهو ما يُعرف عند المحدثين بالمقابلة السياقية، أي مقابلة السياقات بعضها ببعض ليتّضح المعنى.

2.3.السياق في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة: تعددت المناهج اللسانية الغربية في دراسة المعنى، ومنها: النظرية الإشارية التي قامت على يد كل من "ريتشاردز وأوجدن I.A.Richards & C.K.Ogden"، في كتابهما الشهير " The Meaning of Meaning" (معنى المعنى)، والنظرية العقلية للفيلسوف "جون لوك John Loke"، والنظرية السلوكية لـ"ليونارد بلـــــومفيلـــــــد L. Bloomfield"[4] الذي لفت الانتباه إلى أهمية الموقف والاستجابة التي تُستدعى لدى السامع في تحديد معنى الصيغة

[1] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص36 – 37، وص39.

[2] – ينظر: نفسه، ص431.

[3] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحق: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، 1426 ه/ 2006م، ج6، ص2274.

[4] – أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص54 – 67.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

اللغوية، وتناول المتكلم والسامع بالتحليل، فجعل الكلام بديلا من الاستجابة العضوية لمثيرٍ معين[1].

ومن المعلوم أن نظرية "النحو التحويلي التوليدي" التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الماضي على يد "نعوم تشومسكي Naom Chomsky" لم تحفل –في بدايتها– بالدلالة، فاستبعدت السياق من دائرة اهتماماتها؛ إذ كانت تهدف إلى بناء نظرية تفسّر القواعد الكامنة وراء بناء العدد اللامتناهي من الجمل في اللغة الطبيعية. و لم تُدمج الدلالة مع النحو في هذه النظرية إلا مع "كاتز وفودور Katz & Fooder" في بحثهما الموسوم بـــ "بناء النظرية الدلالية"[2].

لم تستطع المناهج اللسانية البنوية إذًا أن تقدّم لنا فكرة السّياق؛ إذ أخذ عليها اللسانيون الاجتماعيون إغفالها السياق الذي تُستعمل فيه اللغة؛ فقد كانوا يتطلعون إلى منهج يدرس اللغة من خلال بُعْد أوسع، ويحاول أن يتبين كيف تتفاعل اللغة مع محيطها. و لم يتحقق ذلك إلا على يدي " ج. ر. فيرث J.R.Firth"، حيث أصبحت نظريته في السياق نظرية دلالية متكاملة الجوانب.

وتُعدّ "نظرية السياق" التي أسسها "ج. ر. فيرث J.R.Firth" في بريطانيا حجر الأساس في "المدرسة اللغوية الاجتماعية"، حيث وسّع فيها نظريته اللسانية بمعالجة جميع

[1] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990، ص243.
[2] – محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص33 – 34.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

الظروف اللغوية لتحديد المعنى، ومن ثم حاول إثبات صدق المقولة بأن "المعنى وظيفة السياق"[1].

مفهوم سياق الحال عند "فيرث": طور "فيرث" مفهوم مصطلح "سياق الحال Context of Situation" الذي وضعه الأنثروبولوجي البولندي "برونسلاو مالينوفسكي B. Malinowki"[2]، واستعمله «باعتباره دالا على عناصر موقف كلامي كامل، كالمتكلم والسامع، أو السامعين، والكلام، وكل ما يحدث في أثناء الكلام من انفعالات، واستجابات ومسالك، وكل ما يتصل بالموقف ويؤثر فيه من قريب أو بعيد»[3].

و«ينظر (فيرث) إلى سياق الحال باعتباره جزءًا من أدوات عالم اللغة، مثله مثل الفصائل النحوية التي يستخدمها... ولهذا اقترح العناصر الآتية:

أ) الملامح الوثيقة بالمشتركين: الأشخاص، والخصائص الذاتية المميزة:

1. الحدث الكلامي للمشتركين.
2. الحدث غير الكلامي للمشتركين.

ب) الأشياء ذات الصلة بالموضوع.

ج) تأثيرات الحدث الكلامي»[4].

---

[1]– محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=21849، نشر بتاريخ: 2017/01/05.

[2]– محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت)، (د ط)، ص310.

[3]– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص262.

[4]– بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 77.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وينقسم السياق عند "فيرث" إلى ضربين: الأول: سياق لغوي: ويتمثل في العلاقات الصوتية، والصرفة، والنحوية والدلالية بين الوحدات اللغوية. أما الثاني، فهو سياق الحال: ويمثله العالم الخارج عن اللغة، بما له صلة بالحدث اللغوي، أي: الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية...للمتكلمين أو المشتركين في الكلام[1].

وقد وسّع "ستيفن أولمان S. Ullmann" مفهوم السياق ليشمل النص كلّه، فقال: «إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل – لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب – بل والقطعة كلّها والكتاب كلّه، كما ينبغي أن يشمل –بوجه من الوجوه– كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات. والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام التي تُنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن»[2]، وهو ما يطلق عليه "سياق النص".

– **أهمية نظرية السياق:** يقول "أولمان" مُبرزا أهميتها: «إن نظرية السياق –إذا طُبّقت بحكمة– تمثّل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن»[3].

وردّ "ف. ر. بالمر F.R. Palmer" على من رفض هذه النظرة بأنه من الصعب رفضها؛ لأنه لا يمكن إنكار حقيقة أن معنى الكلمات والجمل ترتبط بعالم التطبيق، وأن مزيّة اتجاه "فيرث" أنه شرّع في عرض صياغات جزئية للمعنى[4].

[1]– ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، 68 وما بعدها.
[2]– ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص57.
[3]– نفسه، ص61.
[4]– بالمر، علم الدلالة، ص80.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

2.4.السياق في الدراسات اللسانية العربية الحديثة: تولّد اهتمام معظم روّاد الدّرس اللغوي العربي الحديث بدراسة السياق من تأثرهم الواضح بنظرية "فيرث" السياقية بشكل مباشر أو غير مباشر، فحاولوا أن يزاوجوا في الدراسة بين المقولات التراثية والنظرية السياقية؛ لأجل تطوير البحث اللغوي العربي الحديث.

ومنهم **"تمام حسان"** الذي شرح نظرية أستاذه "فيرث"، متبنّيا مقولة إن الفكرة المركزية في علم الدلالة هي "Context of Situation"، حيث ترجم هذا المصطلح إلى "الماجريات"[1]. ولخص تلك النظرية في كتابه "مناهج البحث في اللغة" بقوله: «فالمعنى في رأي فيرث كلٌّ مركّب من وظائف لغوية، هي: وظيفة الصيغة. والعناصر الهامة في هذا الكلّ المركّب هي: الوظيفة الأصواتية (الصغرى)، ثم الوظائف الكبرى: المعجمية، والصرفية، والنحوية، ووظيفة الماجريات الدلالية بصفة عامة»[2].

وقد تبنّى "تمام حسان" هذا المنهج وسعى إلى تطبيقه في اللغة العربية، حيث يقول: «...لِنُنشئ لدراسة الصيغة والوظيفة في اللغة؛ فنجعل الفكرة المركزية في هذا المنهج هي "الماجريات"، وهي تدل –بأحد معانيها– على مجموع عناصر محيطة بموضوع التحليل، تشمل حتى التكوين الشخصي، والتاريخ الثقافي للشخص، وتُدخِل في حسابها الماضي، والحاضر، والمستقبل. وهذا الاصطلاح بالنسبة لعلم اللغة يُقصد به دائما سياق النص، أما السلوك الكلامي العادي، فكلٌّ وَضْع –مهما كان– يُعتبر عنصرا من عناصر الماجريات»[3].

[1] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص251، وص261.
[2] – تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص269.
[3] – تمام مناهج البحث في اللغة، ص251 – 252.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وبيّن **المنهج الذي يتبناه في دراسة المعنى**، وهو منهج مركّب من علاقات السياق وقواعد اللغة بكل فروعها، والمعجم والدلالة، حيث يقول: «فنحن نُشقّق المعنى إلى نسق من الوظائف المكوّنة له، ونحدّ كلَّ وظيفة بأنها استعمال شكل لغوي معيّن، أو عنصر لغوي معين في سياق. ومعنى هذا أننا ننظر إلى المعنى باعتباره مركّبا من علاقات الماجريات والجراماطيقا (بفروعها)، والمعجم والدلالة»[1]. ويؤكد على أنه لا يمكن تحديد دلالة العناصر اللغوية (الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية) إلا من خلال السياق الذي ترد فيه[2].

كما نقف على تأثره بالنظرية السياقية في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، ويظهر ذلك جليا في فصله الأخير (الدلالة)، وبخاصة في مفهوم "المقام"[3] الذي يشمل عناصر متعدّدة بما في ذلك «الأشخاص المشاركين في "المقال" إيجابا أو سلبا، والعلاقات الاجتماعية، والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان...هذا هو المقصود بفكرة "المقام"، فهو يضمّ السامع أو السامعين والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة relevant في الماضي والحاضر، ثم التراث والفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات...»[4]. فالمقام يختلف عن "مراعاة مقتضى الحال" عند البلاغيين الذين نظروا إليه على أنه حال ثابتة.

وقدم **"محمود السّعْران"** في كتابه "علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)" النظرية السياقية بوصفها نظريّة تدرس الكلام بوصفه نوعا من السلوك الاجتماعي ذا علاقة

[1] – نفسه، ص253.

[2] – ينظر: نفسه، ص255 وما بعدها.

[3] – ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص336 وما بعدها.

[4] – نفسه، ص251 –352.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

بعناصر أخرى غير لغوية[1]. وسعى إلى توضيح مفهوم "سياق الحال" عند "فيرث"، فهو يشتمل على جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي، أو الحالة الكلامية، ومن تلك العناصر:

1. شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات الحضور، إن وُجدوا.

2. العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي للمشاركين في الموقف الكلامي، وكل ما يطرأ أثناء الكلام ممن يشهد الموقف الكلامي من انفعالات وغيرها.

3. أثر النص الكلامي في المشاركين، كالإقناع والألم أو الإغراء...[2].

كما ركّز السّعران على تبيان أهمية النظرية السياقية في تحليل النصوص اللغوية، وما يميّزها عن النظريات اللغوية السابقة لها بقوله: «إن نظرية اللغة التي تقوم على التصوّر الخاص بـــ "سياق الحال" تشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية، بمعنى أنها بهذا التصور تستطيع أن تدرس وتفسّر جميع أنواع الوظائف الكلامية، وليست مقصورة كأكثر النظريات القديمة على إبراز نوع أو أكثر ليس غير من أنواع الوظائف الكلامية»[3].

وقد بيّن منهج فيرث في التحليل؛ لأجل الوصول إلى معنى النص اللغوي، حيث يقول: «وهكذا فالأستاذ فيرث يرى أن الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم:

1. أن يُحلَّلَ النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية والفونولجية، والمورفولوجية، والنظمية والمعجمية).

---

[1]– محمود السعران، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، 313.

[2]– نفسه، ص311.

[3]– محمود السعران، علم اللغة، ص311 – 312.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

2. أن يبيّن "سياق الحال" (الماجريات): شخصية المتكلم، شخصية السامع، وجميع الظروف المحيطة بالكلام...

3. أن يُبيّن نوع الوظيفة الكلامية: تَمَنٍّ، إغراء...

4. وأخيرا أن يذكر الأثر الذي يتركه الكلام؛ (ضحك، تصديق، سخرية...)»[1].

ولا نغادر هذا المقام دون أن نقف على التوظيف المتميّز للدكتور **فاضل صالح السامرائي** لقرينة السياق في توجيه الدلالة في القرآن الكريم. فهو يعتمد في ذلك على انطلاقه من آيات المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، موظّفا نوعي السياق: سياق المقال، وسياق المقام، معتمدا في توجيه الدلالات على القرائن اللفظية والمعنوية؛ فهو يعوّل كثيرا على أثر السياق في توجيه دلالة اختيار اللفظ القرآني، أو الصيغة الصرفية، أو التركيبيّة في موضع ما عن غيره. ومن ذلك:

– توجيه دلالة البنية الصرفية: حيث استعان بالسياق في التوجيه الدلالي للبنى الصرفية؛ إذ يرى أن السياق هو الذي يتكفّل بتحديد المعنى الوظيفي للأبنية الصرفية، ولا سيما المتشابهة منها؛ لأنها تتسم بالتعدد والاحتمال في حال كونها خارج السياق. ومن ذلك توجيهه لاستعمال الفعل والاسم في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الـمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الـمَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام/95]، قال: «فاستعمل الفعل مع الحي، فقال (يُخرج)، واستعمل الاسم مع الميت، فقال (مُخرِج)؛ وذلك لأن أبرز صفات الحيّ الحركة والتجدّد، فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد، ولأن الميت في حالة همود وسكون وثبات، جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات»[2].

[1] – نفسه، ص312.

[2] – فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006، ص23.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

– توجيه دلالة العدول التركيبي: قد يعدل القرآن الكريم عن استعمال تركيب إلى تركيب آخر؛ ومن دلالات ذلك العدول "توسيع المعنى"، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر/35]. فمن الوجهة النحوية يمكن أن يقال: (كذلك يطبع اللهُ على قلب كلِّ متكبّر جبّار)، لكن التعبير القرآني عدل عن هذا التركيب؛ فأفاد بذلك معنيين: الأول: أن الله يطبع على قلب المتكبّرين عموما. والثاني: أنه يطبع على كلّ قلبِ المتكبر الجبار، وليس على جزء منه[1].

– توجيه دلالة الأدوات النحوية: كما اعتمد على قرينة السياق في توجيه دلالات الأدوات النحوية، من خلال المقارنة بين سياقات الآيات المتشابهة في التعبير، ومن ذلك المقارنة بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة/7]، وقوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/ 95] فالكلام في آية "البقرة" على الآخرة ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ والدار الآخرة استقبال؛ فنفى بـــ(لن)؛ إذ هو حرف خاص بالاستقبال. وأما الكلام في آية "الجمعة"، فهو عام لا يختص بزمن دون زمن ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ فهذا أمر مطلق، فنفى بـــ(لا) وهو حرف يفيد الاطلاق والعموم[2]. لقد وظف السامرائي خبرته في توجيه دلالات الأدوات النحوية؛ فهو يرى بأن "لا" أقدم حروف النفي في اللغة العربية؛ فهي تدخل على الأسماء كما تدخل على الأفعال، ولما تدخل على الفعل المضارع لا تُقيّده بزمن، مخالفا بذلك النحاة الذين يرون أنها تخلصه للمستقبل[3]، أما "لنْ"، فإنها نفي للمضارع في المستقبل[1].

[1]– فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000، ص190.
[2]– فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص201 – 202.
[3]– فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2000، ج4، ص206.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

– توجيه دلالة الاختلاف التعبيري بين القصص القرآنية المتشابهة: حيث عقد مقارنات بين مواضع القصص القرآنية المتشابهة؛ في محاولة لتقريب المواضع المشتركة في القصة الواحدة المذكورة في مواضع متفرقة. فقد لاحظ بأن القرآن «لا يذكر القصة على صورة واحدة، بل يَذكر في موطن ما يَطوي ذِكرَه في موطن آخر، ويفصّل في موطن ما يوجزه في موطن آخر، ويقدم في موطن ما يؤخره في موطن آخر. بل تراه أحيانا يغيّر في التعبيرات ونظم الكلام تغييرا لا يُخِلُّ بالمعنى. كل ذلك يفعله حسب ما يقتضيه السياق وما يتطلّبه المقام وذلك في حشد فنّي عظيم»[2]. ومن ذلك مقارنته بين قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف والشعراء، حيث هدته تلك المقارنة إلى أن القصة في "الشعراء": تتسم بسمتين بارزتين: التفصيل في سرد الأحداث، وقوة المواجهة والتحدّي؛ فجاءت ألفاظها لتحقق هذين الأمرين. أما في "الأعراف"، فقد بُنيت القصة على الاختصار، وليس فيها قوة المواجهة. فاختلفت التعبيرات المتشابهة في اختيار اللفظ، وفي الصيغة الصرفية، وفي استعمال الأدوات النحوية، بحسب ما يقتضيه السياق في كلّ سورة من السورتين[3].

2.5.المنهج السياقي ودوره في التفسير: أكّد الباحثون المعاصرون على ضرورة الاستفادة من المنهج السياقي، واستغلال إجراءاته في تطوير تفسير القرآن الكريم. يقول الباحث "عادل رشاد غنيم": «لا شك أن المنهج السياقي ببعديه: البعد اللغوي الداخلي

[1]– نفسه، ج4، ص190.
[2]– فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ص284.
[3]– نفسه، ص325 – ص336.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

والبعد المقامي الخارجي، يقدم بين يدي فهم النص الشّرعي نسَقا من العناصر التي تقوّي طريقة فهمه وتفسيره والاستنباط منه»[1].

وتتجلى أهمية الدراسة السياقية للقرآن الكريم في مجموعة من الأمور، ومنها أنها تُعين على[2]:

– توجيه المتشابه، والمشترك اللفظي، وبيان الفروق الدقيقة بين الآيات.

– الترجيح الدلالي بين المعاني الظنّية التي تحتملها الآيات.

– بيان سبب النزول وزمن النزول الصحيحين.

– بيان مرجع الضمير، وتقدير المحذوف، وسبب التقديم والتأخير...

2.6.أقسام السياق القرآني[3]: ينقسم السياق القرآني إلى قسمين: السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي، أو ما يُطلق عليه "سياق الحال" أو "سياق الموقف"، ويسميه بعضهم "السياق الزمني".

– السياق اللغوي: ويُقصد به سياق الآية أو الآيات في السورة، وموقعها بين السابق واللاحق من الآيات، وسياق الجملة في موقعها من الآية. وهو قسمان: الأول: السياق الأصغر: وهو سياق جزئي، وهو الموضع القريب المحيط بالنص المفسَّر، كالكلمة في الجملة، أو الجملة في الآية، أو الآية وعلاقتها بالآيات السابقة واللاحقة.

[1]– عادل رشاد غنيم، المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير، ص8.

[2]– ينظر: الخامسة علاوي، السياق وإنتاج المعنى (قراءة تأصيلية نقدية في نظرية السياق القرآني)، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، مج17، ع33، ص350 – 356.

[3]– ينظر: عادل رشاد غنيم، المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير، ص17 وما بعدها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

الثاني: السياق الأكبر: وهو سياق كلّي عام يشمل القرآن الكريم بأكمله؛ ذلك أن القرآن الكريم يُفسّر بعضه بعضا، أو هو كالكلمة الواحدة.

– السياق المقامي: وهو ما يدعوه السياقيون (سياق الحال Context of Situation): ويشمل الظروف الخارجية للخطاب وملابساته، بما في ذلك أسباب النزول، وأحوال المخاطَب، وغرض المخاطِب...

ويؤكد دعاة تطبيق المنهج السياقي في تفسير القرآن الكريم على ضرورة الاحتكام إلى كل هذه الأنواع من السياق في تفسير النص القرآني بمنهج سياقي متكامل؛ فالاقتصار على السياق اللغوي يجعل النص بنية لغوية منغلقة على نفسها لا تتجاوز ما تفيده الألفاظ من دلالات لغوية. كما أن الاقتصار على السياق الخارجي يجعل الدراسات تحوم حول النص ولا تنفذ إلى جوهر دلالاته[1].

3.توجيه دلالات ألفاظ الأبوة والبنوّة في القرآن الكريم: بعد ما عرضنا الإطار النظري للسياق وأهميته في توجيه الدلالة، سنعالج في هذه المرحلة من البحث دلالات ألفاظ الأبوة والبنوة في القرآن الكريم، مستعينين بدلالاتها المعجمية، معتمدين على توجيه دلالاتها على سياقاتها اللغوية والمقامية.

3.1.دلالات لفظة "أب": تدل **لفظة "أب"** في اللغة العربية على معنى **التربية والرّعاية**؛ جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت: 395 هـــ) في مادة (أ ب و): «الهَمْزَةُ وَالبَاءُ وَالوَاوُ يَدُلُّ عَلَى التَّرْبِيَةِ وَالغَذْوِ. أَبَوْتُ الشَّيْءَ آبُوهُ أَبْوًا: إِذَا غَذَوْتُهُ. وَبِذَلِكَ سُمِّيَ الأَبُ أَبًا»[2]. وقال الخليل بن أحمد: «...ويُقال: فلانٌ يَأْبو هذا اليتيمَ إِباوةً، أي: يَغْذوه،

[1] – نفسه، ص17.

[2] – ابن فارس، مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1979، ج1، ص44.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

كما يغذو الوالِدُ وَلَدَه»[1]. وقال المصطفوي في تحقيق كلمة "أب": «والتّحقيق: أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو التربية في جهة مادية أو معنوية، وبلحاظ هذا المفهوم يوجد للأب مصاديق حقيقية كثيرة، كالوالد، والربّ المتعال والمعلّم والنّبي، والجدّ والعمّ، وغيرهم من أولياء التربية. والاشتقاق منها انتزاعي»[2].

والملاحظ أننا لا نكاد نقف في المعاجم العربية على تعريف دقيق للفظة "أب". جاء في لسان العرب: «الأب الوالد»[3]. وفي معجم الدوحة التاريخي للغة العربية «الأَبُ: الوالِدُ ومَنْ يَقومُ مَقامَهُ»[4].

بَيْدَ أنّ هناك فرقا بين دلالة لفظة "أب" ولفظة "والد". قال أبو هلال العسكري (ت395 هـــ) في الفروق اللغوية: «...ولا يُسمّى الإنسان والدا إلا إذا صار له ولد، وليس هو مثل الأب؛ لأنهم يقولون في التّكنية: أبو فلان وإن لم يلد فلانا، ولا يقولون في هذا: والد فلان...»[5].

وقد ردت لفظة "أب" في القرآن الكريم بالإفراد والتثنية والجمع، على النحو الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج8، ص419.

[2]– حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر العلامة المصطفوي، طهران، إيران، ط1، مادة (أبى)، ج1، ص30.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (أبى)، مج1، ص16.

[4]– معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، مادة: (ء ب و)، https://www.dohadictionary.org

[5]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص282.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

أب	15	46
أبوان/ أبوين	04	06
آباء	32	64

(الجدول رقم1: إحصاء لفظة "أب" في القرآن الكريم).

ومن خلال استقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها كلمة "**أب**" يمكننا أن نقف على الدلالات الآتية:

3.1.1.الوالد البيولوجي: استعملت لفظة "أب" في القرآن الكريم للدلالة على الوالد البيولوجي الذي انحدر الإنسان من صلبه مباشرة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ **أَبُوهُمْ** مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف/68]. فالآية تتحدث عن دخول أبناء يعقوب عليه السلام مصرَ، فكلمة "أبوهم" هنا تدل على والدهم البيولوجي الذي انحدروا من صُلبه مباشرة. ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ **أَبَا** أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب/ 40]. فالآية نَفَتْ أن يكون محمّد –صلى الله عليه وسلم– أبًا لزيد بن حارثة أو لأي رجل آخر. ولفظة "أب" في هذه الآية تدلّ على الوجود البيولوجي؛ لأنها جاءت في سياق تحريم التَّبنّي. فزيدُ بن حارثة، وإن ربّاه –محمّد صلى الله عليه وسلم– وتعَهّده بالرعاية، فهو ليس ولده من صلبه، بحيث تكون له الحقوقُ نفسُها التي للولد على والده. فعليكم أن تنتهوا عن قول: زيد بن محمد، وادعوه لأبيه حارثة. ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب/5].

والملاحظ أن القرآن الكريم استخدم لفظ "الأبويْن" في سياق المواريث، ولم يستخدم لفظ "الوالدين". قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ **وَلِأَبَوَيْهِ** لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ **أَبَوَاهُ** فَلِأُمِّهِ

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

الثُّلُثُ﴾ [النساء/11]. فقد استعمل لفظة "**أبويه**" للدلالة على والديْ الهالك اللذيْن انحدر من صلبيهما؛ تغليبا للأبوة على الأمومة؛ لأن الأب يرث أكثر من الأم[1].

ومن طريف الأسلوب القرآني أنه لم يرد في نداء الأب "يا أبي"، وكلُّ ما ورد جاء على صيغة "**يا أَبَتِ**". وجميعها وردت **في سياقات التلطّف**؛ إذ المنادى في كلّها شيخ كبير. ومن ذلك قول يوسف لأبيه يعقوب عليهما السلام: ﴿**يَا أَبَتِ** هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف/100]. ومنه قول إبراهيم لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ** إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [مريم/45]. وكذلك قول ابنة شعيب لأبيها: ﴿**يَا أَبَتِ** اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص/26].

3.1.2.الجدّ: لم يستعمل القرآن الكريم لفظة "جَدّ" للدلالة على والد الوالد أو والد الوالدة، لا بصيغة الإفراد، ولا بالتثنية ولا بالجمع، وإنما استعمل لفظة "**أب**" للدلالة على **الجَدّ**[2] **وجَدّ الوالد**، في قوله تعالى على لسان يعقوب مخاطبا ابنه يوسف عليهما السلام: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى **أَبَوَيْكَ** مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ [يوسف/6]. فقد استعمل لفظة "أبويك" للدلالة على جدّ الأب (إبْراهيم) والجدّ (إسحاق بن إبراهيم). كما ورد على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ **آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**﴾ [يوسف/38]. فذكر جدّ أبيه (إبراهيم)، وجدّه (إسحاق) وأباه (يعقوب).

[1]– فاضل السامرائي، لمساب بيانية، https://www.yotube.com، فيديو منشور بتاريخ: 2012/08/19.

[2]– الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، تحق: فاطمة يوسف الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، ط1، 1998، ص36.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

والجدُّ بمثابة الأب؛ إذ إن له نصيبا من ميراث حفيده في حال عدم وجود الأب. كما أن له حقَّ الولاية على أبناء ابنه اليتامى (عند الأحناف والشافعية)، زيادة على ما للجدّ من عطف وشفقة على أحفاده ما قد يفوق عطف الأب نفسه.

3.1.3.الأجداد مهما علوا: كما استعمل القرآن الكريم لفظة "أب" للدلالة على الذي انحدر الإنسان من نسله، مهما علا. ومنه قوله تعالى:﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ **أَبَوَيْكُمْ** مِنَ الجَنَّةِ﴾ [الأعراف/27]. فسمّى آدم وحواء بأبوي البشر كلّهم، وسمى الناس ببني آدم.

وقد وردت الآية في سياق ذكر عصيان إبليس ورفضه الامتثال لأمر الله بالسجود لآدم عليه السلام، وكيده له ولزوجه حتّى أخرجهما من الجنة، وتعهُّده بإغواء أبنائهما. فاستعمال لفظة "أبويْكم" يحيل أوّلا على أصل الإنسان، كما أن اللفظة تحمل شحنة عاطفية تدفع الإنسان إلى معاداة الشيطان معاداةَ من عادى أبويه اللذين رَبّياه وتعهداه؛ فالشيطان لم يَكِدْ لآدم وزوجه فقط، وإنما تعهّد بغواية ذريّته إلى أن تقوم الساعة: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء/62].

وإطلاق لفظة "آباء" على الأجداد الذين انحدر الإنسان من نسلهم جارٍ على سنّة العرب في كلامها. قال زهير بن أبي سلمى [من الطويل][1]:

فَما كانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ، فَإِنَّما *** تَوارَثَهُ **آباءُ آبائِهِمْ**، قَبْلُ
وهَلْ يُنْبِتُ الخِطِّيَّ إِلّا وَشيجُهُ *** وتُغْرَسُ إِلّا في مَنابِتِها النَّخْلُ؟

[1]– أبو العباس ثعلب، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط3، 2008، ص95.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

غير أن الملاحظ أن لفظة "آباء" الدالة على الأجداد في القرآن الكريم أكثر ما تُستعمل في سياق اتّباع الخلف للسَّلَف، سواء أكان ذلك الاتباع في الإيمان والتوحيد أم في الكفر والشرك. ومما ورد في سياق الاتباع في الإيمان والتوحيد: قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ **أَبِيكُمْ** إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج/78]. وقوله على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ **آبَائِي** إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف/38].

ومما ورد في سياق الاتباع في الكفر والشرك قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا **آبَاءَنَا** كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنْتُمْ وَ**آبَاؤُكُمُ** الْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء/74–75– 76].

3.1.4.العمّ: قد تُطلق لفظة الأب على العمّ أيضا[1]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ **آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾ [البقرة/133]. فقد أدرج تحت لفظة "**آبائك**": إبراهيم، وهو جدّ يعقوب، وإسحاق وهو أبوه، إلا أن الآية الكريمة ذكرت **إسماعيل** عليه السلام، وهو أخو إسحاق، أي إنه **عمّ يعقوب** وليس أباه أو جدّه.

فلِمَ ذُكر إسماعيل عليه السلام ضمن آباء يعقوب؟ إننا حينما نتأمل سياق الآيات نجد بأن ذكر إسماعيل عليه السلام حاضرٌ في الآيات السابقة ابتداءً من سؤال إبراهيم – عليه السلام– اللهَ تعالى إن كان عهده يشمل ذرّيته؟ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/124]. فإسماعيل من ذرّية إبراهيم عليهما السلام. ثم ذكر تكليف الله

[1] – الدامغاني، الوجوه والنظائر، ص36.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

تعالى إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– بتطهير البيت الحرام: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة/125]، ثم ذكر بناءهما البيت الحرام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة/127]، ثم أورد دعوتهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة/128]. ثم أورد وصية إبراهيم ويعقوب –عليهما السلام– لأبنائهما بألا يموتوا إلا على ملة الإسلام: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة/132].

لقد نزل القرآن بلسان عربيّ مبين، والعرب تُنزل العمّ منزلة الأب، فقد رُوِيَ عن النبي – صلى الله عليه وسلم– لما احتجزت قريشٌ عمَّهُ العباسَ –رضي الله عنه– قوله: "رُدّوا عَلَيَّ أَبِي". والحديث رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: «... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رُدّوا عَلَيَّ أَبِي، رُدّوا عَلَيَّ أَبِي، فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَفْعَلَ بِهِ قُرَيْشٌ ما فَعَلَتْ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ»[1]. وصِنْوُ الرَّجُل: شقيقه. جاء في لسان العرب: «والصِّنْوُ: الأَخُ الشّقيقُ، والعمُّ، والابنُ، والجمع أَصْناءٌ وصِنْوانٌ»[2].

وقد نلمس في ذكر إسماعيل ضمن آباء يعقوب، وهو عمّه إشارة إلى وحدة الدين، فما جاء به إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ عليهم السلام يَنْبع من مصدر واحد. والله أعلم.

وقد اختلف المفسرون في دلالة لفظة **"أبيه"** في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ **لِأَبِيهِ** آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ [الأنعام/ 74]. فمنهم من ذهب إلى أنّ "آزرَ" هو والد إبراهيم

[1]– ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحق: كمال يوسف الحوت، دار التاج، بيروت، ط1، 1989، رقم الحديث: 36902، ج7، ص402.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (صنا)، مج4، ص2513.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

–عليه السلام– على ظاهر الآية[1]، ومنهم من ذهب إلى أنه عمّه وليس والده؛ ذلك أن لفظة الأب تُطلق على العم أيضا، بنص الآية: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ **آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**﴾ [البقرة/133]، حيث ذُكر إسماعيل ضمن آباء يعقوب، وهو عمّه. وقد وضح الشيخ الشعراوي المسألة، مبيّنا بأن في تحديده لاسمه (آزر) دليلا على أنه عمّه، وليس والده، فلو اكتفى بقوله: "أبيه"، لكان المقصود والده قطعا. واستشهد أيضا بقول النبي – صلى الله عليه وسلم– سالف الذكر لما احتجزت قريش العباس رضي الله عنه[2].

3.2.دلالات لفظة "أُمّ": تدل كلمة "أُمّ" في اللغة العربية على أصل الشيء وعِماده[3]. وقال الخليل: «واعلم أن كلّ شيء يُضَمُّ إليه سائر ما يليه، فإن العرب تُسمّي ذلك الشيءَ أُمّا»[4]. وقال أيضا: «والأمّ هي: الوالدةُ، والجميع: الأمّهات»[5].

وقد وردت لفظة "أمّ" في القرآن الكريم بصيغة الإفراد (أمّ)، وبصيغة الجمع (أمّهات) على النحو الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
أمّ	16	24

[1]– ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ج7، ص461. ومحمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج7، ص311.

[2]– تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، (د ط)، 1991، مج6، ص3734.

[3]– ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص21. والزبيدي، تاج العروس، تحق: عبد العليم طحاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2000، ج31، ص 232.

[4]– الخليل بن أحمد، العين، ج8، ص426.

[5]– نفسه، ج8، ص433.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

أمّهات	22	35

(الجدول رقم2: إحصاء لفظة "أمّ" في القرآن الكريم).

ومن خلال استقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها كلمة "**أمّ**"، نقف على الدلالات الآتية:

3.2.1.الأم الوالدة البيولوجية: أي الأنثى التي وضعت الولد. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ **أُمُّهُ** وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان/14]. ففي الآية الكريمة دلالة واضحة على أنّ "الأمّ" هي التي حملت الإنسان ووضعته وأرضعته. ومنه أيضا قوله جلّ شأنه في الميراث: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ **فَلِأُمِّهِ** الثُّلُثُ﴾ [النساء/11]. وواضح من السياق أن لفظة "أمّه" تدل على الوالدة التي ولدته؛ لأنها ترث دون الأمّ المرضعة والأم المربّية. والملاحظ أن القرآن الكريم لم يستعمل في الميراث لفظة "الوالدين"؛ لأن في لفظة الوالديْن تغليبا للأمومة على الأبوّة؛ ذلك أن الأم هي التي تلد على وجه الحقيقة، أما الأب فيُسمى والدا مجازا، وإنما يستعمل لفظة "الأبوين"، فيُغلّب الأبوة على الأمومة؛ لأن النصيب الأكبر في الميراث يكون للأب[1].

كما استعمل القرآن الكريم لفظة "أم" للدلالة على الوالدة البيولوجية التي وضعت الولد في سياق الظّهار:﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ **أُمَّهَاتِهِمْ** إِنْ **أُمَّهَاتُهُمْ** إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة/2].

[1] – فاضل السامرائي، لمساب بيانية، https://www.yotube.com، فيديو منشور بتاريخ: 2012/08/19.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

ويتّسع مدلول الأم ليشمل الجدّات: أمّهات الأم وأمّهات الأب. قال القرطبي: «فالأمّ اسم لكلّ أنثى لها عليك وِلادةٌ؛ فيدخل في ذلك الأمُّ دِنْيَةٌ، وأمهاتُها وجدّاتها، وأمُّ الأب وجدّاتُه وإن عَلَوْنَ»[1].

3.2.2. المرضعة: تعدّ المرضعة أَمًّا لمن أرضعت؛ وهي من المحرَّمات بنص الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ **وَأُمَّهَاتُكُمُ** اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء/23]. فقد ذُكِر تحريم الأمّ الوالدة في بداية الآية، ولما نصّت على تحريم المرضعة بوصفها أمّا وُضّحت بوصف "اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ" فالمرضعة أمٌّ في شريعة الله، وهي ليست بوالدة، فلا توارث بينها وبين ابنها الذي أرضعته.

وعلى اعتبار أنّ كلمة "أمّ" في اللغة تدلّ على أصل الشيْءِ، فكما أنّ الأم الوالدة أصلٌ للولد بيولوجيا؛ فإنّ المرضعة أصلٌ له أيضا؛ لأنّ لها دورا في تكوينه ونموّه بإرضاعها إيّاه.

3.2.3.المُرَبّيَة: يتّسع مفهوم لفظة "أمّ" في الاستعمال القرآني ليشمل المربية التي تكفّلت بتربية الطفل. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ **أَبَوَيْهِ** وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ. وَرَفَعَ **أَبَوَيْهِ** عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف/99–100]. فقد ذكرت الآية "أبويه"، والأبوان لفظة تُطلق على الأب والأمّ من باب تغليب الأبوة على الأمومة.

وقد اختلف المفسرون في ما إذا كانت أمّ يوسف عليه السلام التي آواها إليه ورفعها على العرش مع أبيه يعقوب والدته، أم جدّته، أم خالته؟ فمنهم من قال إنها أمّه

[1] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ج6، ص178.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

كانت على قيد الحياة، ومنهم من قال بأن الله أحياها له؛ لتحقيق نبوءته في قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ﴾ [يوسف/4]، ومنهم من ذهب إلى أنها خالته، نكحها أبوه بعد وفاة أمّه في نفاسها بأخيه بنيامين[1]. وَقال بعْضُهم: أبوه وَجَدَّتُهُ أُمُّ أُمِّهِ[2]. وقال الرازي: «أَنَّ الــمُرَادَ أَبوهُ وَخالَتُهُ؛ لأَنَّ أُمَّهُ ماتَتْ فِي النِّفاسِ بِأَخيهِ بِنْيامِينَ، وقيلَ: بِنْيَامِينُ بِالعِبْرانِيَّةِ ابْنُ الوَجَعِ، ولَمَّا مَاتَتْ أُمُّهُ تَزَوَّجَ أَبوهُ بِخالَتِهِ فَسَمَّاهَا اللَّه تعالى بأحد الأبوين؛ لأن الرّابّة تُدْعَى أُمًّا؛ لِقِيَامِهَا مَقامَ الأُمِّ أَوْ لأَنَّ الخالَةَ أُمٌّ كَما أَنَّ العَمَّ أَبٌ»[3]. و«رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكَانَتْ رَبَّتْ يُوسُفَ، والرّابَّةُ تُدْعَى أُمًّا»[4]. والراجح أنها خالته؛ فجمهور المفسّرين على أن أمه قد ماتت في نفاسها بأخيه بنيامين.

3.2.4.زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم "أمّ المؤمنين": أنزل الله تعالى أزواج النّبي – صلى الله عليه وسلم– منزلة الأمّهاتِ للمؤمنين، حيث قال جل شأنه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمــؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ **أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب/6]. فزوجات النبي لسْنَ أمهات للمؤمنين من طريق النسل، ولا الرّضاعة، ولا التّربية، وإنما من باب التشريف، فقد «شرّف الله تعالى أزواج نبيّه صلى الله عليه وسلّم بأن جعلهنّ أمهاتٍ للمؤمنين، أي: في وجوب التعظيم والمــبَرّة والإجلال، وحرمة النّكاح على الرجال»[5]. قال تعالى:

[1]– ينظر: الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981، ج18، ص214. والطبري، جامع البيان، ج16، ص266. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص454. وتفسير الشعراوي، ج12، ص 7074.

[2]– أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج5، ص341.

[3]– الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج18، ص214.

[4]– أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص341.

[5]–القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص62.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب/53]. «وقيل لـــمّا كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أُنزلن منزلة الأمهات»[1].

3.2.5.أصل الشَّيْء: استعملت لفظة **"أمّ"** في القرآن الكريم، للدلالة على أصل الشيء[2]. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ **أُمُّ** الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران/7].

ومما ورد في تفسير "أمّ الكتاب" أن الآيات المحكمات سمّيت بـــ "أمّ الكتاب"؛ لأنها الأصل، أما المتشابهات، فهي فروع عنها. قال الزمخشري: «هُنَّ أُمُّ الكِتابِ أيْ **أصلُ الكتاب** تُحْمَلُ المتشابهاتُ عليها وتُرَدُّ إليها»[3]. وقال أبو حيّان: «وَمَعْنَى: أُمُّ الكِتَابِ، **مُعْظَمُ الكِتَابِ**، إِذِ الـــمُحْكَمُ فِي آيَاتِ اللَّهِ كَثِيرٌ قَدْ فُصِّلَ»[4].

وقد سمّى الله تعالى مكّةَ المكرمة **"أُمّ القُرى"**، في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ **أُمَّ القُرَى** وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى/7]. ومما ورد في تفسير تسمية مكّة المكرّمة بـــ"أم القرى"؛ لأن فيها الكعبة، وكلُّ الناس يؤمّونها، أو لأن الحُجّاج يأتونها من كل صوب كما يهبّ ويسرع الأبناء ويلوذون بأمهم[5].

---

[1]– نفسه، الصفحة نفسها.

[2]– الدامغاني، الوجوه والنظائر، ص35.

[3]– الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1998، ج1، ص528. وينظر: تفسير الشعراوي، مج2، ص1277.

[4]– أبو حيان، البحر المحيط، مج2، ص397.

[5]– تفسير الشعراوي، مج15، ص3788.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وقال أيضا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي **أُمِّهَا** رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص/59]. وقد فسرت كلمة "أمها" في الآية الكريمة بمعنى العاصمة بالمصطلح الحديث، فالناس يقصدونها من قراهم لقضاء حوائجهم، فكأنها أمّ يشمل حنانها صغار البلاد مِنْ حولها[1].

3.3.دلالة لفظة والد(ة): تدل مادة (و ل د) في اللغة العربية على النّسْل. جاء في مقاييس اللغة: «الوَاوُ وَاللَّامُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ دَلِيلُ النَّجْلِ وَالنَّسْلِ، ثُمَّ يُقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. مِنْ ذَلِكَ الوَلَد، وَهُوَ لِلوَاحِدِ وَالجَمِيعِ، وَيُقَالُ لِلوَاحِدِ وُلْدٌ أَيْضًا. وَالوَلِيدَةُ الأُنْثَى، وَالجَمْعُ وَلَائِدُ. وَتَوَلَّدَ الشَّيْءُ عَنِ الشَّيْءِ: حَصَلَ عَنْهُ»[2]. ونصّ الزّبيدي في تاج العروس على أن: «الوَالِد: الأَبُ، والوَالِدَة: الأُمُّ، وهما الوَالِدَانِ، أَي تَغلِيبا»[3].

وقد وردت لفظة "والد" في القرآن الكريم بالتذكير والتأنيث، وبالإفراد والتثنية والجمع، على النحو الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
والدان/ والديْن	11	20
والد	02	03
والدة	03	03
والدات	01	01

[1]– نفسه، مج18، ص10976.

[2]– ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6، ص 143.

[3]– الزبيدي، تاج العروس، تحق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1971، ج9، ص329.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

(الجدول رقم3: إحصاء لفظة "والد(ة)" في القرآن الكريم).

والملاحظ أن استعمال "الوالديْن" –بالتثنية– جاء أكثر منه بالإفراد والجمع، حيث بلغ نسبة: 74.07% من مجموع الآيات التي ورد فيها اللفظ؛ ذلك أن مسؤولية التربية تقع على عاتقيهما معا، وكذا البِرّ والإحسان يكون لكليهما.

3.3.1. والد(ة): استعمل القرآن الكريم لفظة "والِد" بالإفراد والتذكير للدلالة على الذّكَر الذي انحدر الإنسان من صلبه مباشرة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا **وَلَدَ**﴾ [البلد/3].

كما استعمل لفظة "**والدة**" بالإفراد والتأنيث للدلالة على الأنثى التي ولدت المولود لبطنها، نحو قوله: ﴿لَا تُضَارَّ **وَالِدَةٌ** بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة/233]. وقوله على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا **بِوَالِدَتِي** وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم/32].

واستعمل اللفظ مثنى "**والدان**" للدلالة على الذكر والأنثى اللذين أنجبا الولد. ومنه قوله: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ **الوَالِدَانِ** وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ **الوَالِدَانِ** وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء/11].

كما استعمل اللفظ جمعا مؤنثا للدلالة على النساء اللواتي انحدر الولد من بطونهن، في قوله: ﴿**وَالوَالِدَاتُ** يُرْضِعْنَ **أَوْلَادَهُنَّ** حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة/233]؛ فقد استعمل لفظة "الوالدات" في سياق الرّضاعة، ولم يستعمل لفظة "الأمهات"؛ ذلك أن الوالدة هي المكلّفة بإرضاع ولدها، أمّا الأمُّ فليس بالضرورة أن تكون والدة.

كما أن القرآن الكريم لم يستعمل لفظة "الوالد"، ولا "الأب" في النفقة على المولود، وإنما استعمل "**المَوْلود لَهُ**". قال تعالى: ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى **الـمَوْلُودِ لَهُ** رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوفِ لَا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا **مَوْلُودٌ لَهُ** بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة/233]. يقول الشيخ الشعراوي في تفسير الآية: « ولنتأمل عظمة الأداء القرآني في قوله: "وَعلَى المولود لَهُ" إنه لم يقل: "وعلى الوالد"، وجاء بـــ: "المولود لَهُ" ليكلّفه بالتّبعات في الرّزق والكسوة؛ لأن مسؤولية الإنفاق على المولود هي مسؤولية الوالد وليست مسؤولية الأم، وهي قد حملت وولدت وأرضعت والولد يُنسب للأب في النهاية...وما دام المولود منسوباً للرجل الأب، فعلى الأب رزقه وكسوته هو، وعليه أيضا رزق وكسوة أمه التي تُرضعه بالمعروف المتعارف عليه بما لا يسبب إجحافاً وظلما للأب في كثرة الإنفاق»[1].

ولم يستعمل القرآن الكريم في سياق البرّ والإحسان والدعاء للوالدين لفظة "الأبوين"، وإنما استعمل لفظة "الوالدين". والولادة الحقيقية إنما تكون من الأم، أما الأب، فهو والد مجازا لا على الحقيقة، فاستخدام لفظة "الوالدين" في هذا السياق من باب تغليب الأمومة على الأبوة، وفي ذلك تكريم للوالدة؛ لأنها هي الأحق بالصحبة[2]. ومنه قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ **وَبِالوَالِدَيْنِ** إِحْسَانًا﴾[البقرة/83]. وقوله:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَــوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الوَصِيَّةُ **لِلْوَالِدَيْنِ** وَالأَقْرَبِينَ بِالــمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الــمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/180].

3.4.دلالات لفظة ابن/ بنت: تدل لفظة "ابن" في اللغة على تولّد شيء عن شيْءٍ آخر. جاء في مقاييس اللغة: «الباء والنون والواو كلمةٌ واحدةٌ، وهو الشّيءُ يَتَوَلّد

[1]– تفسير الشعراوي، مج2، ص1005.

[2]– فاضل السامرائي، لمساب بيانية، https://www.yotube.com، فيديو منشور بتاريخ: 2012/08/19.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

عن الشيء، كابن الإنسان وغيره...ثُمّ تُفرِّعُ العربُ، فتُسمّي أشياء كثيرة بابن كذا»[1]. ونص لسان العرب على أن: «الابن: الوَلَدُ...والأنثى ابنة وبنْتٌ»[2]. وفي تاج العروس: «(والابن) بالكسر: (الولَد)، سُمِّي به لكونه بناءً للأب، فإن الأب هو الذي بناه، وجعله الله بناء في إيجاده»[3].

ووسع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية دلالة لفظة "الابن" لتشمل سلالة الرّجل من الذّكور، ولفظة "البنت" لتشمل سلالة الرجل من الإناث[(4)].

وقد وردت لفظة "ابن" في القرآن الكريم بالتذكير، وبالتأنيث (ابنة/ بنت)، وبالإفراد والتثنية والجمع، على النحو الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
بنون/ بنين	31	74
ابن	21	40
أبناء	13	22
بنات	09	17
بُنَيَّ	04	06
ابْنَيْ	01	01

[1]– ابن فارس مقاييس اللغة، ج1، ص303.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، مج1، ص362.

[3]– الزبيدي، تاج العروس، تحق: مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2001، ج37، ص224.

[4]– ينظر: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، مادة: (ب ن و)،
https://www.dohadictionary.org

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

ابنة	01	01
ابنيَّ	01	01

(الجدول رقم 4: إحصاء لفظة "ابن/بِنْت" في القرآن الكريم).

ومن استقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها لفظة **"ابن"** نخلص إلى الدلالات الآتية:

3.4.1.الولد المنحدر من الصلب: أطلق القرآن الكريم لفظة **"ابن"** على ولد الإنسان المنحدر من صلبه مباشرة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ **لِبَنِيهِ** مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ [البقرة/133]. فلفظة "بنيه" في هذه الآية تدل على أولاد يعقوب –عليه السلام– المنحدرين من صلبه. ونحو قوله: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى **ابْنَ** مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة/87]. فعيسى عليه السلام ولد مريم ولدته لبطنها.

وقد نفى سبحانه وتعالى صفة البُنُوَّة عن الْمُتَبَنّين في آية تحريم التَّبَنّي بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ **أَبْنَاءَكُمْ** ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب/4]. فقد حرّمت الآية الكريمة نسبة الشخص لْمُتَبنّيه، وأمرت الآية التي بعدها بنسبته إلى والده: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب/5]. ولم تستعمل الآية لفظة "أولادكم"؛ لأنهم لا يقولون في المتبنّى: فلان ولد فلان، وإنما يقولون: فلانٌ ابن فلانٍ، ناسبين إياه لمتبنّيه؛ ذلك أن الولد لا يكون إلا منحدرا من صلب الوالد. وفي ذلك دلالة واضحة على أن الْمُتبنَّى ليس في حُكم الولَد، ومن ثمة فهو لا يتمتّع بالحقوق الشرعيّة التي للولد.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وقد ورد اللفظ بالإفراد والتأنيث في القرآن الكريم مرّة واحدة، في قوله: ﴿وَمَرْيَمَ **ابْنَتَ** عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ﴾ [التحريم/12].

كما ورد بالتأنيث والتثنية مرة واحدة على لسان شعيب عليه السلام في قوله: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى **ابْنَتَيَّ** هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ [القصص/27].

3.4.2.نسل الإنسان: أطلق القرآن الكريم لفظة "**أبناء**" على نسل الإنسان من أولادٍ وأحفاد، ذكورا وإناثا. ومن ذلك قوله: ﴿**يَابَنِي** آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف/31]. فالمقصود هنا كلّ الجنس البشري، وليس أولاد آدم المنحدرين من صلبه. والدلالة مفهومة من السياق؛ ذلك أن الخطاب ليس موجها لأولاد آدم المنحدرين مباشرة من صلبه، وإنما هو موجه لكل الجنس البشري المنحدر من نسله. ومنه أيضا قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ **لِبَنِي** إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء/104]. فبنو إسرائيل المخاطبين في الآية ليسوا أولاد يعقوب عليه السلام المنحدرين من صلبه، وإنما هم المنحدرون من نسله من قوم موسى، ومن جاء بعدهم.

3.4.3.الابن بالتربية: تطلق لفظة "**ابن**" على من ربّى الإنسانُ، وإن لم يكن ولدَه من صلبه. وقد اختلف المفسرون في ابن نوح –عليه السلام– المذكور في القرآن، هل كان ولده من صلبه، أم ابنه بالتربية؟ فمنهم من ذهب إلى أنه ولده من صلبه، ومن ذلك ما جاء في تفسير الإمام الثعلبي: «قال أبو معاوية البجلي: قال رجل لسعيد بن جبير: قال نوح إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي، أكان ابن نوح؟ فسبّح طويلا، وقال: لا إله إلّا الله، يحدث الله محمدا صلّى الله عليه وسلّم إنه ابنه وتقول ليس ابنه، كان ابنه، ولكنه كان

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

مخالفا في النية والعمل والدّين، فمن ثم قال تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، وهذا القول أولى بالصواب وأَلْيَقُ بظاهر الكتاب»[1].

ومن الذين ذهبوا إلى أنه ليس ابنه، وإنما هو ولد امرأته من زوج آخر عَليٌّ، والحَسَنُ، وابْنُ سيرينَ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْر[2]. و«قَالَ قَتَادَةُ سَأَلْتُ الحَسَنَ عَنْهُ فَقَالَ: واللَّهِ مَا كَانَ ابْنَهُ، قُلْتُ إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْ نُوحٍ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ فَقَالَ: لَمْ يَقُلْ مِنِّي، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ كَانَ ابْنَ امْرَأَتِهِ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ حَكَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ﴿وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ وَلَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الكِتَابَيْنِ أَنَّهُ ابْنُهُ، فَقَالَ الحَسَنُ: وَمَنْ يَأْخُذُ دِينَهُ عَنْ أَهْلِ الكِتَابِ؟! إِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ»[3]. لقد اعتمد الحسَنُ على السّياق اللغوي للآية في توجيه دلالة لفظة "ابني"، فنفى أن يكون ابن نوح –عليه السلام– من صلبه، في قوله: "لَمْ يَقُلْ مِنِّي، وَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ كَانَ ابْنَ امْرَأَتِهِ مِنْ زَوْجٍ آخَرَ".

ولعلّ هذا الاختلاف راجع إلى أن لفظة "ابن" تُطلق على الولد من الصلب، كما تُطلق على الابن بالتربية. جاء في معجم الفروق اللغوية: «...والولد يقتضي الولادة، ولا يقتضيها الابن، والابن يقتضي أبا، والولد يقتضي والدا، ولا يُسمّى الإنسان والدا إلا إذا

[1]– الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002، ج5، ص172–173. وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص226.

[2]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص227.

[3]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص135. والثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج5، ص172.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

صار له ولد، وليس هو مثل الأب؛ لأنهم يقولون في التّكنية: أبو فلان وإن لم يلد فلانا، ولا يقولون في هذا: والد فلان...»[1].

والراجح أنه ربيبه ولَدُ زوجته من رجل آخر؛ بدليل قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود/45]. فأجابه الحق بقوله: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود/46]. والله أعلم.

3.4.4.عابرُ السّبيل: أطلقت لفظة "ابن" مُضافَةً إلى "السّبيل" في القرآن الكريم، مجازا للدلالة على المسافر عابر السبيل، نحو قوله تعالى: ﴿وآتَى المَـــالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَـسَاكِينَ وَ**ابْنَ** السَّبِيلِ﴾ [البقرة/177].

وقد وردت "ابن السبيل" ثماني (8) مرات في القرآن الكريم بالإفراد، ولم تأتِ بالتثنية ولا بالجمع. وفي ذلك دلالة على أن حال عابر السبيل واحدة، سواء أكان فقيرا أم غنيا، شريفا أم وضيعا. وما يدل على ذلك أن "ابن السبيل" اقترنت في الخطاب القرآني دائما بسياق الصدقات والإنفاق والإحسان إليه.

3.5.دلالات لفظة "وَلَد": تدل مادة (و ل د) في اللغة العربية –كما سبق– على النسل[2]. وقال المصطفوي في تحقيق الكلمة: «والتّحقيق: أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو خروج شيء عن شيء ونَتاجُه بالتكوّن منه، سواء كان في حيوان أو غيره ماديّا أو معنويّا»[3].

[1]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص282.

[2]– ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6، ص 143.

[3]– حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (ولد)، ج13، ص220.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم بالإفراد والجمع (أولاد/ وِلْدان) على النحو الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
ولد	18	33
أولاد	14	23
وِلدان	04	06
وليد	01	01

(الجدول رقم5: إحصاء لفظة "ولَد" في القرآن الكريم).

وباستقراء السياقات القرآنية التي وردت فيها لفظة **"وَلد"** نخلص إلى الدلالات الآتية:

3.5.1.الولد المنحدر من الصُّلْب: استعمل القرآن الكريم لفظة **"الولد"** للدلالة على كُلّ مولود لوالدين، سواء أكان ذكرا أم أنثى، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي **أَوْلَادِكُمْ** لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء/11]. فالآية تبيّن أن لفظة "الأولاد" تشمل الذكور والإناث المنحدرين من صلب الإنسان. «والوَلَدُ اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى»[1]. وقال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ **وَلَدٌ** فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ **وَلَدٌ** فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء/12]: «ومعنى "كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ" أَيْ: مِنْكُمْ أَيُّها الوارِثونَ، أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ. والوَلَدُ: هُنَا ظَاهِرُهُ أَنَّهُ مَنْ وَلَدَتْهُ لِبَطْنِهَا ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى وَاحِدًا كَانَ أو أكثر»[2].

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (ولد) مج6، ص4914.

[2]– أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص196.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

ولذلك تعجبت مريم عليها السلام حينما بُشّرت بالمسيح عليه السلام، فقالت: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي **وَلَدٌ** وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران/47]؛ ذلك أن الولد لا يكون إلا باتصال جنسي بين ذكر وأنثى.

وقد نزّه الله تعالى شأنه نفسه عن الولد، فقال: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ **وَلَدًا**﴾ [مريم/92]؛ لأن ذلك من شأن المخلوقات، لا الخالق سبحانه وتعالى.

والملاحظ أنه في آيات المواريث لم ترد لفظة "ابن" أو "بنت"؛ مما يبيّن الفرق بين "الولد" و"الابن"، فـــ«...الولد يقتضي الولادة، ولا يقتضيها الابن، والابن يقتضي أبا، والولد يقتضي والدا...»[1].

وقد استعملت لفظة "ولد" في القرآن الكريم على التشبيه مرتين: على لسان عزيز مصر مرة، وأخرى على لسان امرأة فرعون؛ فقال الأول لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ **وَلَدًا**﴾ [يوسف/21]. أما امرأة فرعون، فقالت: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ **وَلَدًا**﴾ [القصص/9]، فالعزيز لم يكن له ولد، وامرأة فرعون لم يكن لها ولد ذكر، فأراد العزيز أن يكون يوسف –عليه السلام– له كالولد في النفع، وكذلك أرادت امرأة فرعون أن يكون لها موسى عليه السلام.

3.5.2.وَلَد الولد: قد تشمل لفظة "**ولد**" وَلَدَ الوَلَدِ. قال أبو حيان: «وَالوَلَدُ حَقِيقَةٌ فِي وَلَدِ الصُّلْبِ وَيُسْتَعْمَلُ فِي وَلَدِ الابْنِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَجَازٌ. إِذْ لَوْ كَانَ حَقِيقَةً بِطَرِيقِ الاشْتِرَاكِ أَوِ التَّوَاطُؤِ لَشَارَكَ وَلَدَ الصّلب مطلقا، وَالحُكْمُ أَنَّهُ لَا يَرِثُ إِلَّا عِنْدَ عَدَمِ وَلَدِ الصُّلْبِ، أَوْ عِنْدَ وُجُودِ مَنْ لَا يَأْخُذُ جَمِيعَ المِيرَاثِ مِنْهُمْ»[2].

[1]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص282.

[2]– أبو حيان، البحر المحيط، ج3، ص189

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

3.5.3. وَلِيد/ وِلْدان: وردت لفظة "**وَلِيد**" في القرآن الكريم مرة واحدة، وهي على وزن "فَعيل" بمعنى "مَفْعول" أي: مَوْلود؛ للدلالة على الصّبيّ حديث الولادة. قال تعالى على لسان فرعون:﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا **وَلِيدًا** وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء/18]. فقد استعمل فرعون لفظة: "وليدا". وجاءت اللفظة في سياق مَنِّ فرعون على موسى عليه السلام؛ ليذكره بأمر تربيته ورعايته يوم أن كان رضيعا ضعيفا لا يقوى على شيء.

كما وردت اللفظة بالجمع "**وِلْدان**"؛ في سياق الدلالة على الأطفال الضعفاء الذين لم يبلغوا الحلم: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْـمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَ**الْوِلْدَانِ** الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء/75].

كما استعمل القرآن الكريم لفظة "**وِلْدان**" للدلالة على الخلق الذين يخدمون أهل الجنة، في قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ **وِلْدَانٌ** مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الواقعة/17–18]. و"الوِلْدانُ" جمع "وَليد"، وهو «الغلام حين يُستوصَف قبل أن يحْتَلم»[1].

3. 6. دلالات لفظة "ذُرِّيّة"/ "ذُرِّيّات": تدل مادة (ذ ر ر) في اللغة العربية على الانتشار. قال ابن فارس: «الذال والراء المـُشدّدة أصل واحد يدل على لطافة وانتشار. ومن ذلك الذَّرُّ: صغار النّمل، والواحدة ذَرَّة»[2]. وفي لسان العرب: «وذَرَّ اللهُ الخَلْقَ في الأَرض: نشَرَهُم»[3]. وقد نصت المعاجم العربية على أن «الذُّرِّيَّة: اسمٌ يَجمع نَسْلَ

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (ولد)، مج6، ص4916.
[2]– ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص343.
[3]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذرر)، مج3، ص1494.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

الإِنْسَانِ من ذَكَرٍ وأُنْثَى، وأَصلُها الهَمْز، لكنهم حَذَفُوه فَلم يستعملوهَا إِلَّا غَيْر مَهْمُوزةٍ؛ وقيل: أصلها من الذّرّ بمعنى التّفريق، لأنّ اللهَ تعالى ذَرَّهم في الأرض»[1].

وفي التحقيق: «والذّرّيّة منسوبة إلى الذُّرَّة، أي ما يُذَرُّ ويُنشَر، والياء للنسبة والتاء للتأنيث باعتبار الكثرة والجماعة»[2].

وقد وردت لفظة "ذُرّيّة" في القرآن الكريم على النحو الآتي:

اللفظ	عدد السور	عدد الآيات
ذُرِّيّة	17	28
ذُرِّيات	04	04

(الجدول رقم6: إحصاء لفظة "ذُرّيّة" في القرآن الكريم).

ومن خلال تتبعنا للسياقات التي وردت فيها لفظة "ذُرِّيّة" في القرآن الكريم، وجدنا أنها قد وُظّفت للدلالة على:

3.6.1. نسل الإنسان: وهي الدلالة المعجمية للكلمة التي تحمل معنى الانتشار. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ **ذُرِّيَّةِ** آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ **ذُرِّيَّةِ** إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ [مريم/58]. فلفظة "ذُرِّيَّة" هنا تدل على المـــنحدرين من نسل الإنسان، من أولاد وأحفاد.

وقد استعمل القرآن الكريم لفظة "**ذُرِّيَّة**" للدلالة على الأحفاد سواء أكانوا منحدرين من الأولاد الذكور أم الإناث. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ **ذُرِّيَّتِهِ** دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى

[1]– نفسه، مادة (ذرر)، مج3، ص1495. والزبيدي، تاج العروس، تحق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، 1972، ج11، ص368. وأبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص282.

[2]– حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (ذرّ)، ج3، ص331.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المـُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَ**عِيسَى** وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام/84–85]، فذكر الله عزّ وجلّ عيسى –عليه السلام– ضمن ذرية نوح عليه السلام، فقالوا ذلك من ناحية الأم؛ إذ الأم هي العنصر البشري في ولادته[1].

3.6.2. الأولاد الضّعفاء: وقد وقفنا على هذه الدلالة في السياقات التي يكون فيها الأولاد ضعفاء لا يقدرون على شيْء. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ **ذُرِّيَّةٌ** ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة/266]. فقد وردت لفظة "ذرّيّة" في سياق التمثيل الذي ساقه الله عز وجل لعاقبة من ينفق ماله رئاء الناس، فهو كالذي آتاه الله جنّة فيها من كل الثمار، ولكنه أصابه الكِبَرُ فأصبح ضعيفا عاجزا، وله أولاد صغار ضعفاء لا يقدرون على شيء، وأصاب هذه الجنّة إعصارٌ فاحترقت. فانظر مقدار الحسرة التي تعتصر قلب هذا الرجل، لا على نفسه فقط، بل على أولاده الضعفاء أكثر، وكذلك يكون حال من ينفق ماله رئاء الناس حين يلقى ربّه يوم القيامة[2].

إن السياق هو الذي استدعى لفظة "ذرّيّة"، فلم يقل الحقُّ تعالى: أولادا ضعفاء، وإنما قال "ذريّة ضعفاء"؛ فلفظة "ذُرّية" من مادة (ذ ر ر) التي توحي بالضّعف، ومن ذلك الذَّرُّ: صغار النّمل. والذّرّة: المقدار الصغير الذي لا يُعبَأ به. أما لفظة "أولاد"، فلا توحي بالضعف، فقد يكون الأولاد أقوياء أغنياء، فتخفّ حدّة الحسرة في نفسه.

والملاحظ كذلك أنه وصف الذّريّة بأنهم "ضُعَفاء" على وزن "فُعَلاء"، ولم يقل "ضِعافا" على وزن "فِعال"؛ فمن سمات التعبير القرآني أنه يستعمل وزن "فُعَلاء" للدلالة

[1]– ينظر: تفسير الشعراوي، مج6، ص3771 – 3772.

[2]– ينظر: نفسه، مج2، ص1158 وما بعدها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

على الضّعف المعنوي، وصيغة "فِعال" للدلالة على الضعف المادي[1]. وبذلك يكون قد جمع لهم بين ضُعفيْن: الأول دلّت عليه لفظة "ذُرّية" الموحية بالضّعف، والثاني دلت عليه الصّفة "ضُعفاء" التي تدلّ على الضعف المعنوي، وبذلك تتضاعف حسرة ذلك الذي يُنفق ماله رئاء الناس حين يلقى اللّه يوم القيامة.

ومن ذلك أيضا قوله:﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُم﴾ [يونس/83]. استعمل القرآن الكريم في هذا السياق لفظة "ذُرّية" التي تدلّ على الضّعف، و لم يستعمل لفظة "فِتْية" –مثلا– التي تدل على القوّة والفتوة؛ فسياق الحديث عن استكبار فرعون، في مقابل ضعف قوم موسى، حتّى إنه لم يتبعه منهم إلا أولاد ضعاف، مع خوفهم من فرعون، فهم ضعاف ماديا وروحيا؛ ذلك أنهم بعد أن نجاهم اللّه من فرعون؛ فإذا بهم يطلبون من موسى –عليه السلام– أن يجعل لهم إلها. قال تعالى:﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف/138]. و لم يلبثوا طويلا بعد ذهاب موسى –عليه السلام– لميقات ربه حتى أضلهم السامري، فاتخذوا العجل إلهً ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ [طه/88].

3.7.دلالة لفظة "حَفيد": تدل مادة (حفد) في اللغة على معاني الإعانة والخِدمة والإسراع والخِفّة في العمل. قال ابن فارس: «الحاء والفاء والدال: أصل يدلّ على الخفّة في العمل والتّجمّع. فالحَفَدةُ: الأعوانُ؛ لأنه يجتمع فيهم التجمّع والتّخفّف، وواحدهم حافد. والسّرعة إلى الطاعة حَفْد»[(2)]. وجاء في لسان العرب: «حفد: حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً

[1]– ينظر: فاضل السامرائي، معاني الأبنية، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2007، ص 146 – 147.

[2]– ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (حفد)، ج2، ص84.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وحَفَداناً وَاحْتَفَدَ: خفَّ في العَمَلِ وأَسرع. وحَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً: خَدَم»[1]. وقال المصطفوي في تحقيق هذه الكلمة: «والتّحقيق: أن الأصل الواحد في هذه المادة: هو الإعانة بخلوص وسرعة»[2].

وقد وردت اللفظة مرة واحدة في القرآن الكريم بصيغة الجمع "**حَفَدَة**"، في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَ**حَفَدَةً**﴾ [النحل/72]. وقد اختلف المفسرون في معناها، فمنهم من ذهب إلى أن الحَفَدة هم وَلَدُ الوَلَد[3]، ومنهم من ذهب إلى أنهم أبناء الابن، ومنهم من قال: البنات؛ لأنهن يخدمن البيوت أتمَّ خدمة. ومنهم من ذهب إلى أنهم أولاد الزوجة من غير الزوج الذي هي في عصمته، وقال آخرون: هم الأصهار، ومنهم من قال: هم الأعوان والخدم، بل وذهب بعضهم إلى أنهم الأبناء أنفسهم[4].

وقال المصطفوي «والتفسير بأولاد الأولاد، وإن كان مِصْداقَ الأعوان: غيرُ وَجيه فإنّ كلمة البنين تشملها في المرتبة الثانية. وأبعد منه تفسيرها بالخَدم: فإنّ الآية مُصرّحة بكون الحَفَدة من الأزواج، وهي نعمة متحصَّلة في أثر الزواج. والخدمةُ لا ربْط لها بالازدواج والأزواج»[5]. وذهب (المصطفوي) إلى أن المراد هم أقارب الزّوج، قال: «أي

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (حفد)، مج2، ص922 –923.
[2]– حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (حفد)، ج2، ص292.
[3]– تفسير الشعراوي، مج3، ص8078.
[4]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 454. وأبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص 499.
[5]– حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (حفد)، ج2، ص292.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

أعوانا لكم في حياتكم وبعد مماتكم، إعانة مادية ومعنوية، من أقاربها ممّن يقرب بالحسب والسّبب»[1].

ولعل مرد هذا الاختلاف في تفسير اللفظة يرجع إلى كون "حَفَدَة" جمع "حافِد" (على وزن اسم الفاعل)، وهو الذي يُسرع في الطاعة والخدمة؛ فمن معاني الحَفْدِ: السرعة، والعون والخِدمة. جاء في لسان العرب: «حفد: حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً وحَفَداناً وَاحْتَفَدَ: خفَّ في العَمَلِ وأَسرع. وحَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً: خَدَم. الأَزهري: الحَفْدُ في الخِدْمَةِ والعَمَلِ الخِفَّةُ؛ وأَنشد:

حَفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهُنَّ وأُسْلِمَتْ *** بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأَجْمالِ

... وَقَالَ ابْنُ شُمَيْلٍ: قَالَ الحَفَدَةُ الأَعوان، فَهُوَ أَتْبعُ لِكَلَامِ العَرَبِ مِمَّنْ قَالَ الأَصهار؛ قَالَ:

فَلَوْ أَنَّ نَفْسِي طَاوَعَتْنِي، لأَصْبَحَتْ *** لَهَا حَفَدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرُ»[2].

ويبدو مِن سياق الآية **أن المراد بالحَفَدةِ هم أولاد الأبناء**، فقد جاءت اللفظة بعد ذِكْرِ الأزواج، وعُطِفَتْ على "بَنين" ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَ**حَفَدَةً**﴾. ولعل ما يؤيّد ذلك أن من طبيعة الإنسان الرغبةَ في أن يكون له ولد، فإن رُزقَهُ، تاقت نفسه إلى أن يرى وَلَدَ ولدِه. فإن قيل لِمَ لا تكون كلمة "حَفَدة" بمعنى البنات؛ لأنهن يخدمن البيوت أتمَّ خدمة، وقد عُطفت على بَنينَ؟ قلنا: إن البنات وإن قمن على خدمة آبائهنّ، فإن مصيرهن إلى الزواج، بل إن الأب لَيَفرَحُ بزواج، ابنته بدل أن تبقى عزباءَ في البيت لخدمته. والله أعلم.

[1] – نفسه، مادة (حفد)، ج2، ص293.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مادة (حفد)، مج2، ص922 –923.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

3.8. دلالة لفظة "سِبْط": جاء في مقاييس اللغة أن «السين والباء والطاء أصل يدل على امتداد شيْء»[1]. وفي تاج العروس: «والسِّبْطُ، بالكَسْرِ: وَلَدُ الوَلَدِ، وَفِي المُحْكَمِ: وَلَدُ الابنِ والابْنَةِ. وَفِي الحَديث: الحَسَنُ والحُسَيْنُ سِبْطا رَسُولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّم ورَضِيَ عَنْهُما[2]. والسِّبْطُ: القَبيلَةُ من اليَهودِ، وهم الذين يَرْجِعونَ إِلَى أَبٍ واحِدٍ، سُمِّيَ سِبْطاً لِيُفْرَقَ بَيْنَ وَلَدِ إسماعيلَ ووَلَدِ إِسْحَاق عَلَيْهِمَا السَّلام، ج: أَسْباطٌ. وقالَ أبو العبّاسِ: سألتُ ابن الأَعْرَابِيّ: ما معنى السِّبْطِ فِي كلامِ العَرَب؟ قالَ: السِّبْطُ والسِّبْطانُ والأَسْباطُ: خاصَّةُ الأَوْلادِ والمُصاصُ مِنْهُم. وقالَ غَيْرُه: الأَسْباط: أَولادُ الأَوْلادِ وقِيل: أَوْلادُ البَناتِ. قُلْتُ: وَهَذَا القَوْل الأخيرُ هو المَشْهورُ عندَ العامَّة، وبه فَرَّقوا بَيْنَها وبَين الأحْفادِ، ولكنَّ كلامَ الأئمَّةِ صَريحٌ فِي أَنَّه يَشْمَلُ وَلَدَ الابنِ والابْنَة، كَمَا صَرَّحَ به ابن سيدَه»[3].

ونصّ معجم الفروق اللغوية على أن: «أكثر ما يُستَعْمل السِّبْطُ فِي وَلَدِ البِنْت، ومِنْه قيل لِلْحسنِ وَالحُسَيْن – رَضِي الله عَنْهُمَا– سِبْطا رَسُول الله – صلى الله عليه وسلم– وَقد يُقَال: للْوَلَد سِبْطٌ إِلَّا أَنه يُفِيد خلاف مَا يفيدهُ؛ لأَن قولنا: سبط يُفِيد أَنه يَمْتَد وَيطول، وأصل الكَلِمَة من السّبوط، وَهُوَ الطول والامتداد، ومِنْه قيل: السّاباط لامتداده بَين الدّاريْنِ... والسَّبَطُ شجر سمي بذلك لامتداده وطوله»[4].

---

[1]– ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص128.

[2]– ينظر: الترمذي، الجامع الكبير، تحق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ج6، ص118، رقم الحديث: 3775.

[3]– الزبيدي، تاج العروس، تحق: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1980، ج19، ص329.

[4]– أبو هلا العسكري، الفروق اللغوية، ص283.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

وقال حسن مصطفوي في التحقيق في كلمات القرآن الكريم: «...فظهر أن السّبْطَ بمعنى ولَدُ الولَد وهو مفرد، وجمعه أسباط وهو بمعنى أولاد الولَد»[1].

وجاء في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية: «السِّبْطُ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ: ما كان بمَنْزِلَة القَبيلة عند العرب مِنْ أَبٍ واحد». ويعود أقدم استعمال موثّق للكلمة إلى سنة: 64 ق. هـــ في قول السموْأل:

وَبَقايا الأَسْباطِ أَسْباطِ يَعْقوبَ دارِسِ التَّوْراةِ والتّابوتِ[2]

ومن خلال ما ورد في المعاجم نقف على الاختلاف في دلالة لفظة "سِبْط"، فهي تدل على وَلَد الابن والبنت جميعا، ثمّ خُصِّصت بالدلالة على وَلَد البنت. وتدلُّ أيضا على القبيلة من بني إسرائيل الذين يرجعون إلى أب واحد.

وقد وردت كلمة "سِبْط" في القرآن الكريم خمس (5) مرات، بصيغة الجمع "أَسْباط"، وكلها تتعلق ببني إسرائيل.

والملاحظ أن اللفظة قد وردت معرّفة بـــ "ال" في أربع آيات، وجاءت بعد ذكر الأنبياء إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عليهم السلام. ومنها قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَ**الأَسْبَاطَ** كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة/140]. وجاءت نكرة في قوله تعالى:﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ **أَسْبَاطًا** أُمَمًا﴾ [الأعراف/160].

ومن سياق الآيات التي وردت فيها كلمة "أَسْباط"، نجد أنها دلت على القبيلة من بني إسرائيل الذين يعودون إلى أب واحد. قال أبو حيّان: «الأَسْبَاطُ: جَمْعُ سِبْطٍ، وهم

[1]– حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج5، ص41.

[2]– معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، مادة: (س ب ط)،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

في بني إِسْرَائِيلَ كالقبائِلِ في بني إِسْماعيلَ، وهم وَلَدُ يَعْقُوبَ اثْنَا عَشَرَ، لِكُلِّ وَاحِدٍ منهم أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ»[1].

والسؤال المطروح: لِمَ خصّ القرآن الكريم بني إسرائيل المنحدرين من أبٍ واحد بلفظة "أسباط" و لم يُسمّهم "قبائل"؟

إننا حينما نتمعن في الآية ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ **أَسْبَاطًا** أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [الأعراف/160]. نجد أنها:

– وردت بعد ذكر عصيان بني إسرائيل وعبادتهم العجل.

– بُدِئت بلفظة "قطّعناهم"، والتقطيع يدلّ على أنهم كانوا مُجتمعين فقسّمهم وفرّقهم، فتفرّقوا واختلفوا، حتى إنهم حينما استَسْقى لهم موسى عليه السلام، جعل الله لكلّ سِبْط منهم مَشْرَبا خاصا بهم.

ومن خلال السياق نلمس أن لفظة "أسباط" تدل على كثرة الانتشار والتفرق، فبنو إسرائيل تفرّقوا وانتشروا في الأرض، ولا يزالون كذلك حتى بعد أن أقاموا دولتهم المزعومة على أرض فلسطين[2]. أما لفظة "قبيلة"، فتدل على الوحدة والاجتماع. قال في مقاييس اللغة: «وقبائل الرأس: شُعَبُه التي تَصِلُ بيْنها الشُّؤون؛ وسُمِّيَت بذلك لإقبال كلّ واحدة منها على الأخرى؛ وبذلك سُمِّيت قبائل العرب»[3].

ومما سبق يمكننا أن نقول بأن تخصيص القرآن الكريم لفظة "الأسباط" ببني إسرائيل فيه دلالة على تفرّقهم وانتشارهم في الأرض. والله أعلم.

[1]– أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص569.

[2]– ينظر: تفسير الشعراوي، مج9، ص4392 وما بعدها.

[3]– ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص53.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

3.9.دلالة لفظة "العَقِب": ممّا تدل عليه مادة (ع ق ب) في المعاجم العربية: تأخُّرِ شيءٍ ومجيئه بعد غيره[1]. وقال الخليل: «العَقِب: مُؤخَّرُ القَدَمِ...وعَقِبُ الرَّجُلِ: وَلَدُه ووَلَدُ وَلَدِه الباقونَ من بَعْدِه. وقَوْلُهم: لا عَقِبَ له: أي لم يبق له ولد ذَكَرٌ»[2]. وورد في الفروق اللغوية: «الفرق بين العَقِب والولد: أنّ عَقِبَ الرَّجُل وَلَدُه الذُّكُور والإناث، وولَدُ بَنيه من الذُّكور والإناث، إلا أنهم لا يُسَمّونَ عَقِبا إلا بعد وفاته»[3].

وقد وردت لفظة "**العَقِب**"في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي **عَقِبِهِ** لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف/28]. وقد فُسّرت كلمة "العَقِب" في الآية بـــالذُرّيَّة[4]. وسبق أن تبيّن لنا أن كلمة "ذُرّيّة"تطلق على الأولاد المنحدرين من الصُّلْب، كما تطلق على نسل الإنسان.

ولعل السؤال الذي يُطرحُ ههنا: لَمَ استعمل القرآنُ الكريم لفظة "عَقِب"، ولم يستعمل لفظة "ذُرّيَّة"؟

حينما نعود إلى سياق الآيات، فإننا نجد أن إبراهيم عليه السلام قد أعلن توحيده اللهَ تعالى، وبراءته مما يعبد أبوه وقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف/26]، بَيْدَ أن كلمة التوحيد التي قالها لم تنقطع بموته عليه السلام، وإنما ورَّثها، وجعلها كلمة باقية في أولاده وأولاد أولاده من بعده. وكلمة "ذُرّيّة" وإن كانت تُطلق على الأولاد المنحدرين من الصُّلْب، كما تطلق على نسل الإنسان، إلا أنها

[1]– ينظر: نفسه، ج4، ص77.

[2]– الخليل، كتاب العين، ج1، ص178.

[3]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص283.

[4]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج5، ص436. وأبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص13. وتفسير الشعراوي، مج22، ص13884.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

لا تدل على أن هؤلاء الأولاد قد بقوا من بعده، فقد يفقد الإنسانُ أولاده، وحتى أولاد أولاده في حياته. أما كلمة "عَقِب" فإنّها تدلُّ قطعا على أن هؤلاء الأولاد وأولادهم قد عاشوا موحّدين الله من بعده عليه السلام. ولعلّ كلمة "عَقِب" في الآية تشملنا نحن المسلمين اليوم، فقد قال جلّ شأنه: ﴿مِلَّةَ **أَبِيكُمْ** إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج/78]. والله أعلم!

4. الخاتمـــة: وفي ختام هذا البحث الذي حاولنا فيه إبراز دور السياق في توجيه دلالات ألفاظ الأبوة والبنوّة في القرآن الكريم، يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج. ونقسمها قسمين: نتائج عامة، تتعلق بدراسة السياق القرآني، ونتائج خاصة، تتعلّق بدلالات الألفاظ المدروسة في المقال:

– النتائج العامة: ونلخصها في الآتي:

– كان لمفهوم السياق حضورٌ لافتٌ في التراث العربي؛ فقد مارسه علماؤنا بمختلف اهتماماتهم العلمية؛ إذ استأنس به النحاة في تقعيد القواعد، والأصوليون في استنباط الأحكام الشّرعيّة، واعتمده البلاغيون في تأصيل قواعد الكلام وشروط إنتاج الخطاب، والمفسرون في محاولة الكشف عن معاني القرآن الكريم، وتأويل مُشْكِلِه.

– هناك فرق بين مفهوم "المقام" المرتبط بمقتضى الحال في البلاغة العربية، ومفهوم "سياق الحال Context of Situation" في نظرية السياق الغربية؛ إذ إن مفهوم "سياق الحال" أوسع من مفهوم "المقام". والباحث في السياق القرآني مدعوّ للاستفادة من كليهما.

– للسياق بنوعية: اللغوي، والمقامي (سياق الحال) الدور الأكبر في توجيه دلالة الكلمة، كما أن له دورا مُهمّا في توجيه دلالة البنية الصوتية، والصيغة الصرفية، والبنية التركيبية في النصوص.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

– البحث في السياق القرآني مجال خصب، ومن شأنه الوصول إلى نتائج طيّبة في فهم دلالات القرآن الكريم، من خلال دراسة سياقاته اللغوية في مستويات التحليل اللساني: الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والمعجمي، وربط كلّ ذلك بالسياق اللغوي، وبالمقام (سياق الحال).

– إن النص القرآني نصٌّ مُعجِزٌ تحدّى اللهُ به الجنَّ والإنسَ أن يأتوا بمثله، ولذلك هو باقٍ على انفتاحه على مزيد من الدّراسات، ومنها الدراسات السياقية التي من شأنها الكشفُ عن مزيد من الأسرار التي لم يُتَح كَشفُها للسابقين؛ ذلك أن الباحث المعاصر يمتلك من الأدوات المنهجيّة ومن الحقائق العلمية ما لم يتوفر للسابقين.

– إن المتتبع للدراسات اللسانية المهتمة بلغة القرآن الكريم ليَلحظ أن "نظرية السياق القرآني" قد بدأت تتشكّل معالمها نهايةَ القرن الماضي، وهي تتطوّر يوما بعد يوم. غير أننا ندعو الباحثين في هذا المجال إلى ضرورة الانطلاق من التراث في دراسة السياقات القرآنية، مع الاستعانة بالنظريات اللسانية الحديثة بما يتلاءم وخصوصيّة القرآن الكريم، ونظام اللسان العربي الذي به نزل.

– **النتائج الخاصة:** من خلال تتبّع السياقات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ الأبوة والبنوة، يمكننا أن نحصر دلالات تلك الألفاظ في الآتي:

– لفظة "**أب**": تدل على الوالد البيولوجي الذي انحدر الإنسان من صلبه، وعلى الجَدّ مهما علا، كما تُستعمَل للدلالة على العم أيضا. في حين لا تطلق لفظة "**الوالد**" إلا على الذّكَر الذي انحدر الإنسان من صلبه.

– لفظة "**أُمّ**": تشمل الأنثى التي وضعت الولد، وجدّاته، والمرضعة التي أرضعته، والمربية التي ربّته. كما تطلق، من باب التكريم، على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

مضافة إلى المؤمنين "أمهات المؤمنين". ولا تطلق لفظة "**الوالدة**" إلا على الأنثى التي ولدت المولود لبطنها.

– لفظة "**ابن**"/ "**بنت**": تدل على الولد المنحدر من الصلب، وعلى نسل الإنسان من أولاد وأحفاد، ذكورا وإناثا، كما تطلق على من ربّى الإنسانُ، أما لفظة "**الولد**"، فلا تطلق إلا على الولد المنحدر من الصُّلْب، سواء أكان ذكرا أم أنثى، وقد تطلق على ولد الولد.

– لفظة "**ذُرِّيَّة**": تطلق على الأولاد المنحدرين من الصُّلْب، كما تطلق على نسل الإنسان.

– لفظة "**الحَفيد**": تستعمل للدلالة على ولد الابن، ويقابله "**السِّبط**" وهو ولد البنت. وقد خُصّص الجمع "**أسباط**" بالدلالة على بني إسرائيل المنحدرين من أب واحد؛ لانتشارهم وتفرّقهم.

– لفظة "**العَقِب**": تدلّ على أولاد الإنسان وأولاد أولاده (من الذكور والإناث) الباقين من بعده.

5. قائمة المصادر والمراجع:

* **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

5. 1. الكتب:

– المصادر العربية القديمة:

– **الأزهري** (أبو منصور محمد بن أحمد. ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، تحق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج9.

– **الترمذي** (أبو عيسى محمد بن عيسى. ت: 279هـ)، **الجامع الكبير**، تحق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ج6.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

– **التهانوي** (محمد علي. ت: نحو: 1158هـ/ 1745م)، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996، ج1.

– **ابن تيمية** (تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. ت: 728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1425هـ/ 2004م، ج6.

– **ثعلب** (أبو العباس أحمد بن يحي. ت: 291 هـ)، **شرح شعر زهير بن أبي سلمى**، تحق: فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط3، 2008.

– **الثعلبي** (أبو إسحاق أحمد. ت: 427 هـ) **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002، ج5.

– **الجاحظ** (عمرو بن بحر. ت: 255 هـ)، **البيان والتبيين**، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1.

– **الجرجاني** (عبد القاهر. ت: 471 هـ)، **دلائل الإعجاز**، تحق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.

– **ابن جني** (أبو الفتح عثمان. ت: 392 هـ)، **الخصائص**، تحق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983. ج1.

– **أبو حيان الأندلسي** (محمد بن يوسف: ت: 745 هـ)، **تفسير البحر المحيط**، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، وج2، وج3، وج5، وج8.

– **الدامغاني** (أبو عبد الله محمد بن علي ت: 478 هـ)، **الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها**، تحق: فاطمة يوسف الخيمي، مكتبة الفارابي، دمشق، ط1، 1998.

– **الرازي** (فخر الدين. ت: 604 هـ)، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، دار الفكر،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

بيروت، ط1، 1981، ج18.

– **الزبيدي** (محمد مرتضى الحسيني: ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1971، ج9.

_____، تحق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1972، ج11.

_____، تحق: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، (د ط)، 1980، ج19.

_____، تحق: عبد العليم طحاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2000، ج31.

_____، تحق: مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 2001، ج37.

– **الزركشي** (بدر الدين. ت:794 هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحق: أي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، (د ط)، 2006.

– **الزمخشري** (أبو القاسم محمود بن عمر. ت: 538هـ)، **الكشاف** عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1998، ج1، وج3، وج5.

– **سيبويه** (عمرو بن بشر. ت: 180هـ)، **الكتاب**، تحق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1.

– **السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين. ت: 911 هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحق: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، 1426 هـ/ 2006م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

– **الشافعي** (محمد بن إدريس. ت: 204ه)، **الرسالة**، تحق: أحمد محمد شاكر، مكتبه الحلبي، القاهرة، ط1، 1358هـ /1940م.

– **ابن أبي شيبة** (أبو بكر عبد الله بن محمد. ت: 235 هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحق: كمال يوسف الحوت، دار التاج، بيروت، ط1، 1989، ج7.

– **الطبري** (محمد بن جرير. ت: 310 هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحق: محمد محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420 هـ/ 2000م.

– **العسكري** (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. ت 395 هـ)، **الفروق اللغوية**، تحق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د ت)، (د ط).

– **ابن فارس** (أبو الحسين أحمد. ت: 395ه)، **مقاييس اللغة**، تحق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1979.

– **الفراهيدي** (الخليل بن أحمد. ت: 175 هـ)، **كتاب العين**، تحق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج1.

– **القرطبي** (محمد ابن أحمد بن أبي بكر. ت: 671 هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ج6، وج11، وج17.

– **ابن قيم الجوزية** (محمد بن أبي بكر. ت: 751هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ / 1991م، ج1.

________________، **بدائع الفوائد**، تحق: علي محمد العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت)، ج4.

– **ابن منظور** (محمد بن مكرم. ت:711 هـ)، **لسان العرب**، تحق: نخبة من الأساتذة،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

دار المعارف، القاهرة، (د ط)، (د ت)، مج1، مج2، مج3، مج4، مج6.

– **المراجع العربية الحديثة والمترجمة:**

– **أحمد مختار عمر**، **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.

– **أولمان** (ستيفن) (Stephen Ullman)، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، عمان، الأردن، (د ط)، 1986م.

– **بالمر**(فرانك روبير) (Frank Robert Palmer)، **علم الدلالة إطار جديد**، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، 1995.

– **تمام حسان**، **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)، 2001.

–______________________، **قرينة السياق**، بحث قُدِّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) مطبعة عبير للكتاب، القاهرة، (د ط)، 1413 هـ/ 1993.

–______________________، **مناهج البحث في اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 1990.

– **جيرو**(بيير) (Pierre Giraud)، **علم الدلالة**، تر: منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988.

– **السامرائي** (فاضل)، **التعبير القرآني**، دار عمار، عمان، الأردن، ط4، 2006.

–______________________، **الجملة العربية والمعنى**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000.

–______________________، **معاني الأبنية**، دار عمار، عمان، الأردن، ط2، 2007.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

– ــــــــــــــــــــ، **معاني النحو**، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 2000، ج4.

– **السعران** (محمود)، **علم اللغة** (مقدمة للقارئ العربي)، دار النهضة العربية، بيروت، (د ت)، (د ط).

– **الشعراوي** (محمد متولي. ت: 1419هـ/ 1998م)، **تفسير الشعراوي**، أخبار اليوم، القاهرة، (د ط)، 1991، ج2، وج3، وج6، ج12، وج15، وج22.

– **ابن عاشور** (محمد الطاهر. ت: 1393هـ/ 1973م)، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، (د ط)، 1984، ج5، وج7.

– **فندريس** (جوزيف) (Joseph Vendryes)، **اللغة**، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 1950.

– **محمد حماسة عبد اللطيف**، **النحو والدلالة** (مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي)، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000.

– **محمد رشيد رضا** (ت: 1354هـ/ 1935م)، **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ج7.

– **المصطفوي** (حسن. ت: 1426هـ/ 2005م)، **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، مركز نشر العلامة المصطفوي، طهران، إيران، ط1، (د ت).

– **نواري سعودي** (أبو زيد)، **الدليل النظري في علم الدلالة**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2007.

5.2. المجــلات:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:03 السنة: 2020 الصفحة: 266–334 تاريخ النشر: 25–03–2021

– **علاوي** (الخامسة)، **السياق وإنتاج المعنى** (قراءة تأصيلية نقدية في نظرية السياق القرآني)، مجلة المعيار، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، مج17، ع33.

5.3.الملتقيـــات:

– **عادل رشاد غنيم، المنهج السياقي وأثره في تطوير دراسات التفسير**، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1434/4/6هـــ/2013/02/16م.

5.4.المواقع الإلكترونية:

– **فاضل السامرائي، لمسات بيانية**، https://www.yotube.com، فيديو منشور بتاريخ: 2012/08/19.

– **معجم الدوحة التاريخي للغة العربية**،
https://www.dohadictionary.org

– **محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية** ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى،
http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=21849،
نشر بتاريخ: 2017/01/05.